كلنا سوريون
www.allsyrians.org
سياسية ثقافية نصف شهرية
العدد ٥٠ ١٧ / أيار / ٢٠١٦
السنة الثالثة ١٢ صفحة

معركة خان طومان تغيّر الحسابات في حلب

ما زالت التعامل مع حلب على أنها مكسر العصا بين قوات النظام وحلفائه من الروس والإيرانيين من جانب، وبين المعارضة السورية المسلحة والفصائل الإسلامية من جانب آخر.. طرف النظام يبحث عن انتصار عسكري في حلب يجعل منه الورقة الرابحة في محادثات السلام القادمة على أساس أنه قوة لا يستهان بها، أو بالأحرى القوة الوحيدة على الأرض السورية القادرة للتعامل مع الإرهاب، أما قوى المعارضة فهي تعلم أنها بخسارة حلب ستخسر من رصيدها المعنوي الكثير، وكذلك من وزنها العسكري الذي سيبقى محصوراً في إدلب وفي المنطقة الجنوبية من سوريا. لذا لا يبدو أن الجهود الدولية المبذولة ـ أو كما يوحي اللاعبون بذلك ـ لإقرار الهدنة في حلب تتجه نحو إقرارها والالتزام بها.

قوات النظام ومنظومة حلفائه يسعون ومنذ فترة للتخطيط على هجوم عسكري متكامل يستعيدون فيه مدينة حلب عبر قطع طرق الإمداد من الجنوب والشمال تمهيداً لاسترجاعها بعد فرض الحصار الكامل عليها، لكن المفاجأة كانت حينما قررت بعض القوى العسكرية للمعارضة السورية بهجوم مباغت على من منطقة خانطومان التي تعتبر مركز الثقل الرئيسي لقوات النظام وقوات الحرس الثوري الإيراني وميليشيا حزب الله، واستطاعت هذه القوى استعادة المدينة والسيطرة عليها رغم القصف الجوي والمدفعي غير المسبوق الذي تعرضت له المدينة ومحيطها.

إن خسارة خانطومان كموقع استراتيجي مهم جداً، بسبب وقوعها في منطقة جبل سمعان، على بعد نحو ١٠ كيلومترات جنوب غرب مدينة حلب. وانفتاحها على بلدات وقرى ريف حلب الجنوبي؛ حيث تستطيع التحرك بسرعة نحو الوضيحي في الجنوب، أو نحو منطقة أورم الكبرى في الجنوب الغربي؛ وكذلك قربها من مدينة حلب؛ الأمر الذي يجعلها على تماس مباشر بالمدينة. وهي معبر نحو بلدة الحاضر في عمق ريف حلب الجنوبي. والوصول إلى الحاضر يعني الوصول إلى العيس ورسم الصهريج، والاقتراب كثيرا من الطريق الدولي الاستراتيجي الذي يربط بين مدينتي حلب وحماة، مروراً بخان شيخون وسراقب في محافظة إدلب.

ولأن إيران ترى في معركة حلب، أنها معركة كسر عظم في صراعها مع السعودية وتركيا عبر السيطرة على هذه المدينة وتعزيز نفوذها هناك، لذا فالمنطقة مقبلة على معركة حامية الوطيس، خاصة وأن معركة خان طومان أفشلت خطة إيرانية لحصار حلب تمهيداً لاقتحامها والسيطرة عليها لتوسيع مناطق نفوذها في سوريا، وهذا ما تسعى إليه منذ تسعة شهور ابتدأت مع «عملية محرم» والتي فشلت بعد مقتل الجنرال حسين همداني وتكبدت القوات الإيرانية خسائر كبيرة في شهر أكتوبر عام ٢٠١٥ ، مما دفع إيران لتعزيز وجودها العسكري عبر إرسال عناصر نخبة من اللواء ٦٥ بالجيش الإيراني المعروفة بـ «القبعات الخضراء» منذ بداية إبريل من العام الجاري حيث أعلن رسمياً عن مقتل ٢٦٠ جندي وضابط إيراني منذ شهر اكتوبر الماضي.

المحرر السياسي

جنيف 3
مفاوضات الرمق الأخير

لم يكن النظام السوري في أي لحظة منذ الخيار العسكري، ومن يتذكر تصريحاتٍ رجالات النظام في عام ٢٠١١ يدرك جيدا كيف فهم النظام ومن حوله ما يحدث في سوريا، وفي أحد تصريحات وليد المعلّم كان يضحك ساخراً من الدول والأطراف الأخرى ويتوعّدهم بأنهم سيغرقون في آلاعيب النظام وحيله، بينما أقصي بكل بساطة فاروق الشرع عند اقتراحه لخيار آخر غير ما اختارته حلقة القداسة إياها.

لا يريد النظام ولا يستطيع، خوض اي عملية سياسية، وهو يدرك أن بنيته لا تحتمل أي تغيير فيها وبالتالي فهو وحتى هذه اللحظة مرهون للخيار العسكري، أو لخيار سياسي يبقي على عصابته وأدوات تحكّمه وتكون كل مفاتيحه بيده.

يستغل النظام جيداً حاجة إيران وروسيا لاستثمار ورقته لصالحهما، وهو حريص على بقاء هذه المصالح وتعزيزها، لابل إنه حريص على توسيع هذه المصالح لضمان وجودهما الى جانبه، لا يهمه في ذلك أي مصلحة وطنية أو اعتبار لسيادة.

أفشل النظام الجولة الأخيرة من المفاوضات بناءاً على خطة عسكرية صاغها مع إيران، وتقضي بالسيطرة على حلب بشكل كامل لتصبح حلب ودمشق وحمص واللاذقية وطرطوس وحماه تحت سيطرته وتصبح الحسكة تحت سيطرة حلفائه (بي كي كي) وهكذا تبقى الرقة ودير الزور ودرعا وإدلب موزعة بين داعش والفصائل الإسلامية والجيش الحر، عندها سيمضي الى الحل السياسي واثقاً من انتصاره.

لكن إلى أي حد تتطابق الرؤية الروسية مع الإيرانية في هذه النقطة؟.

من الواضح أن هناك تبايناً في المواقف ناتج عن تباين في مصالح هاتين الدولتين ومحاولة استثمار كل منهما للملف السوري، فروسيا تريد استثمار الملف السوري باتفاق أمريكي أوربي بينما تريده إيران لصالحها في تفاوضها مع أوربا وأمريكا أيضاً، من هنا يمكن فهم أن استلم حافظ الأسد السلطة عام ١٩٧٠ معنياً بأي أمر من شأنه أن يؤسّس لقيام دولة عصرية أو حتى قابلة للتطور، كل ما كان يهمّ هذا النظام هو بقاء السلطة بيده.

من أجل هذا بنى حافظ الأسد سلطة مطلقة معيارها الوحيد هو الولاء لها، مستبيحاً من أجل ذلك كل ما في سوريا من ذاكرة وتاريخ وجغرافيا وشعب وثقافة وسياسة.

ولإحكام السيطرة على السلطة ودوامها، صاغ حافظ الأسد نظاماً فريداً من نوعه يمكن توصيفه بأنه عصابة شديدة الترابط محكومة بآليات مراقبة خاصة، هو وحده من يمتلك مفاتيح مراقبتها ومحاسبتها، ولا يحقّ لأي جهة أخرى من مؤسسات الدولة أو أطرافها محاسبة أو مساءلة أي فرد من هذه العصابة إلا بإيعاز منه شخصياً.

وضع حافظ الأسد هذه العصابة فوق المجتمع، ووضع نفسه فوق الجميع مرسِّخا مايشبه القداسة حوله، وهكذا خرج هو خارج كل المتعارف عليه وخارج القانون والدستور، ومانحاً من يشاء بعضاً من قداسته فأصبحت عائلة بيت الأسد كلهم فوق المجتمع والقانون، ولا يحقّ لأحد أبداً أن يخدش قداستهم إلا من هو أعلى قداسة أي حافظ الأسد وأولاده .

عندما رحل حافظ الأسد عام ٢٠٠٠ واستلم ابنه بشار حاول آخرون مشاركة بشار في إرث القداسة فدخلت عائلة محمد مخلوف وطالبت بشرى وماهر من حصتهم بها وهكذا تبعثرت هذه القداسة، وتخفف آخرون في العصابة الأكبر من طغيان حضورها، فلا الرئيس الجديد يستحقها ولا هو قادر على فرضها.

عندما انفجرت الثورة السورية في مطلع ٢٠١١ لم تكن العصابة الحاكمة في سوريا والتي تتشارك تقاسم الدولة والمجتمع تملك إمكانية الخيار، فهي تدرك أنها إما أن ترحل معاً أو تبقى معاً، وبناءاً على هذا الفهم ذهب النظام إلى الحل الوحيد المفتوح أمامه وهو ثلاثة أطراف كل منهم يحاول الاستفادة من الآخرين، روسيا وإيران تدركان أنهما سيتخليان عن النظام في النهاية ويلعبان لقبض ثمنه، والنظام يعلم ذلك لكنه يلعب على حاجتهما له مخبئاً ورقة خاصة به سيكشفها بعد أن ينهي خصومه بمساعدتهما.

إذا كان وضع الساحل السوري قد حسم الروس أمره عندما اشترطوا أن يكون لهم قبل تدخلهم المباشر في سوريا ووافق على هذا الشرط كل من إيران والنظام لإدراكهما أن المعركة قد تذهب إلى خسارة كاملة لهما، فإن وضع حلب ودمشق يدغدغ أحلام الإيرانيين.

أما النظام السوري فهو يريد أن يصل إلى المرحلة التي يتحصّن فيها في مناطق سيطرته فارضاً على المجتمع الدولي أحد خيارين إما تقسيم سوريا بوضعها القائم وهذا ما سيؤدي إلى انهيار القسم المتبقي من سوريا أو إلى القبول بإعادة سيطرته على كامل سوريا.

لعل معركة خان طومان كانت مفصلا مهما في إحباط هذه الخطة لكن هذا لا يعني صرف النظر عنها، وسيحاول النظام مع إيران مرة أخرى السيطرة على حلب، لكن الأمريكان وحلفائهم يحاولون عدم الوصول إلى هذه المرحلة وبالتالي يفكّرون بإحباط هذه المحاولة عسكرياً.

بوتين يستعجل، فالإدارة الأمريكية التي اتفقت معه توشك أن تغادر، وسوريا حقل ألغام لا يعرف الروس متى ينفجر أحدها في وجههم، والايرانيون أيضا يريدون إيقاف استنزافهم مع حليفهم حزب الله، وليس أمامهم إلا تحقيق حسم عسكري.

قبل التفاوض القادم... قبل نهاية هذا الفصل من الدراما السورية أخشى أن يكون صيفاً بالغ السخونة.

بسّام يوسف

وحدة دراسة السياسات في مركز حرمون للدراسات المعاصرة

حلب.. مقبرة مؤتمر جنيف أم محطّة للعودة إليه؟

تحليل سياسي قامت به وحدة دراسة السياسات في مركز حرمون للدراسات المعاصرة يقدم تحليلاً وافياً عن العملية السلمية وكيف يتعامل معها النظام السوري، مستعرضاً المواقف الدولية والاستحقاقات القادمة. ولراهنيته تقوم كلنا سوريون بنشره كما جاء على موقع المركز.

مقدمة

أثبت النظام السوري، في غير مرّةٍ، أنه غير مؤهل ليكون شريكًا وطنيًا في إنفاذ حلٍ سياسيّ ينقذ سورية وشعبها من المآل المدمّر الذي أوصلهما إليه. تكمن علّة ذلك في جوهر بنية النظام وسلوكه منذ لحظة تأسيسه عام ١٩٧٠ وحتى الآن، كنظام غير سياسي، يقوم على الاستبداد والإقصاء والتمييز والعنف المنفلت الذي مارسه بأشكاله المختلفة عبر مساره الطويل، ليس في الداخل السوري فحسب، وإنما على صعيد الإقليم وفي المجال العربي والدوليّ أيضًا.

هذه المقدمة لا بدّ منها كتمهيدٍ لقراءة مسار العملية السياسية المتعثرة التي جرى استئنافها تحت مسمّى (جنيف ٣) في شهر آذار/ مارس الفائت، للوصول إلى حلٍ سياسي للمسألة السورية المعقّدة، والتعرف إلى التداعيات السلبية التي أوصل النظام إليها هذه العملية، والتي تنذر بانفجار يهدّد ما تبقى من البشر والحجر، وتتطاير حممه لتطال المنطقة بأسرها.

سبق الجولة الأولى من جنيف ٣ ـ كما هو معروف ـ القرار الخاص بـ "وقف العمليات العدائية" الذي صدر في أواخر شهر شباط/ فبراير المنصرم، ونقل البلاد إلى حالة من الهدوء النسبيّ لم تشهدها منذ زمنٍ طويل، وأضفى على سير التفاوض في هذه الجولة مناخًا ملائمًا أتاح له أن يمرّ بهدوء وسلاسة، على الرغم من محاولات وفد النظام تسميم الأجواء وتمييع العملية التفاوضية لتخريبها. ومع هذا تمخضت هذه الجولة، في حصيلتها، عن الإعلان الصريح الذي صدر عن الموفد الخاص للأمم المتحدة بأن موضوع "الانتقال السياسي" سيكون مدخل الجولة التالية وعنوانها الرئيس.

التأمت الجولة التالية في أجواء مختلفة وشديدة السلبية، فالأمم المتحدة لم تتمكن من إحراز تقدّم لجهة تنفيذ البنود الإنسانية المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن الدولي ٢٢٥٤، تلك البنود التي لا يخضع تنفيذها إلى تفاوض مسبق (فك الحصار عن المناطق المحاصرة، إيصال المساعدات الغذائية والطبية إلى هذه المناطق التي أنهكها الحصار بحرية تامة، والإفراج عن المعتقلين)، إضافة إلى الصلف والمكابرة التي وسمت أداء وفد النظام مقابل جدّية نسبية في أداء المعارضة. ترافق هذا كله مع قيام النظام بخروقاتٍ خطرة ومتكررة هدّدت بانهيار وقف إطلاق النار، ما دفع الهيئة العامة للتفاوض في ١٩ نيسان/ أبريل لطلب تأجيل المباحثات إلى حين إعادة وضع العمليّة برمّتها على سكّتها الصحيحة، الأمر الذي اعترض عليه المبعوث الأممي وعَدّه "استعراضًا سياسيًا".

بعد يوم واحد من إعلان الهيئة العليا للمفاوضات تأجيل مشاركتها في مباحثات جنيف ٣، عاودت قوات النظام والقوات الروسية قصفها للمناطق التي تُسيطر عليها المعارضة، لتعود وتيرة القتل إلى ما كانت عليه قبل الاتفاق على وقف الأعمال العدائية، وكان القصف عشوائيًا ومتعمدًا وموجّهًا ضد مدنيين عزّل، وفي جميع الحالات لم يجرِ التأكد من وجود هدف عسكري قبل أو في أثناء الهجوم.

لا يأبه النظام السوري لانهيار اتفاق "وقف الأعمال العدائية". فقد عمل منذ اليوم الأول لانطلاق جنيف ٣ على طيّ "العملية السياسية" بالمراهنة على خلط الأوراق وإفشالها بواسطة ألاعيبه المعهودة، كما أفشلها في جنيف ٢ بعد أن أعلن قبيل انعقاده، على لسان وزير خارجيته، عن نيته إضاعة الوقت عبر إغراق المعارضة بالتفاصيل، واتّخذ النظام هذا القرار كنهج عمل طالما أنه لم يجد رادعًا، وبات واضحًا أنه لا يملك خيارًا سياسيًا لإنقاذ سورية وشعبها ولا يرى سوى خيار الحسم العسكريّ، وهذا يعني، من وجهة نظره، الإجهاز النهائيّ على الثورة التي لا يرى فيها سوى إرهابيين حملوا السلاح في مواجهته، والعودة بالسوريين إلى بيت الطاعة. ولإفشال العملية السياسية المرتبطة بمؤتمر جنيف عمل بجميع الوسائل على انهيار وقف إطلاق النار، الذي كان هشًا بالأصل، والإجهاز على قرار اتفاق "وقف الأعمال العدائية"، ومحاولة تنفيذ وعيده باقتحام مدينة حلب، كما هدّد رئيس مجلس وزرائه، وائل الحلقي، عشيّة التئام الجولة الثانية من جنيف ٣.

مدينة حلب

إحراق حلب

تُعدُّ مدينة حلب ثاني أكبر المدن السورية والعاصمة الاقتصادية للبلاد، وهي مُقسّمة منذ تموز/ يوليو ٢٠١٢ إلى أحياءٍ شرقية تُسيطر عليها فصائل المعارضة، وغربية تُسيطر عليها قوات النظام، ويوجد فيها بين ثلاثمئة وأربعمئة ألف نسمة، وقُصفت على مدى أسبوعين بُعيد تعليق مؤتمر جنيف بكثافة، وطال القصف البيوت والأسواق والمستشفيات ومحطة المياه الرئيسية، وسقط نحو ٢٨٦ ضحية جميعهم من المدنيين، بينهم ٩٥ طفلًا وامرأةً، إضافة إلى مئات الجرحى.

ارتكبت قوات النظام خلال شهر نيسان/ إبريل الفائت ستّ مجازر في هذه المدينة، وارتكبت القوات الروسيّة ستّ مجازر أخرى، عدا عن المجازر التي ارتُكبت في ريفيّ دمشق ودير الزور وإدلب وحمص والرقة، وبلغ عدد ضحايا المجازر التي ارتكبتها قوات النظام ٢٠٢ بينهم ٤٥ طفلًا و٢٠ امرأة، بينما بلغ عدد ضحايا المجازر التي ارتكبتها القوات الروسية ٦٠ قتيلًا بينهم ٢١ طفلًا وتسع نساء.

لم يقتصر التصعيد العسكري على مدينة حلب فقط، وإنما تعدّاها إلى ريفها وريف إدلب أيضًا، ففي الخامس من أيار/ مايو الحالي، تعرّض مخيّم الكمّونة للنازحين قرب بلدة سرمدا في ريف إدلب لقصفٍ جويّ أودى بحياة ٢٨ مدنيًّا وجرح ٣٠ آخرين، علمًا بأن معظم القاطنين في هذا المخيّم هم نازحون من إدلب، انضمّ إليهم نازحون من حلب، على إثر الهجمة الأخيرة التي تعرّضت لها المدينة، ما يوحي بوجود سياسة لملاحقة النازحين لإبادتهم، وهذه جريمة من جرائم الحرب الموصوفة. كذلك استهدف القصف في الثامن من الشهر الحالي مركز الدفاع المدني في مدينة الأتارب بريف حلب الغربي، ومشفى بيّوني في بلدة كفرناها في ريف حلب الغربيّ أيضًا. واستهدفت غارتان جويّتان بالصواريخ الفراغيّة بلدتيّ سراقب وخان السبل في ريف إدلب الشرقيّ.

مواقف وردّات أفعال

ليس مستغربًا أن يكون خيار النظام في سورية اقتحام مدينة حلب وإعادة بسط سيطرته عليها، خاصة بوجود دعم عسكري إيراني وروسي مباشر وغير محدودٍ، فضلًا عن جيشٍ من الميليشيات الطائفية المرتزقة من إيران والعراق وأفغانستان ولبنان وغيرها، وقد أفصح عن خياره هذا في رسالته الأخيرة إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، التي أعلن فيها عن نيّته تحقيق "الانتصار النهائي" في حلب، الأمر الذي استدعى ردًّا سريعًا من واشنطن حين دعا المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية مارك تونر في ٥ أيار/ مايو روسيا إلى "التعامل بشكلٍ عاجلٍ مع هذا التصريح غير المقبول على الإطلاق"، لأنه "محاولة من الأسد للدفع بأجندته الخاصّة، ولزامًا على روسيا أن تُمارس نفوذها على هذا النظام للحفاظ على وقف الأعمال القتاليّة".

يتطلّع النظام من وراء هذا الخيار إلى إفشال العملية السياسية التي ما زالت تؤرّقه، إضافة إلى أن حلب تُكمل له معالم ما يُطلق عليه اسم "سورية المفيدة"، وبالسيطرة على حلب سيتمكّن، في ظلّ استمرار الداعمين الروسي والإيراني، من فرض خطوط تماسّ واضحة، للتفاوض من موقع مختلف عندما يحين أوان مثل هذا التفاوض. لكن، وفي ضوء ضعف احتمال تمكّن النظام من اقتحام حلب، فقد يتّجه إلى محاولة فرض الحصار عليها، لإجبار المعارضة بعد ذلك على توقيع اتفاق انسحابٍ منها، كما جرى في مدينة حمص منذ نحو عامين.

من ناحيتها، تقف إيران إلى جانب النظام في هذا الخيار، إن لم تكن بالأساس شريكة في صنعه، إذ يبدو أنها كانت تخطّط أيضًا لمعركة حلب، فقد أرسلت قواتٍ خاصّة من الجيش الإيراني للمشاركة في هذه المعركة، ولا يغيّر من هذه الحقيقة قول قائد الجيش الإيراني في ٢٠ نيسان/ إبريل الماضي "إن القوات التي تمّ نشرها في سورية، في أول عملية من نوعها خارج البلاد منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، تتكون من متطوعين يعملون تحت إمرة الحرس الثوري، والجيش النظامي لم يتدخل بشكل مباشر". إذ يأتي هذا الكلام بعد خسائر كبيرة ومتتالية للقوات الإيرانية على جبهة حلب وصفها الإعلام الإيراني بـ "الكارثة"، وهو تعديل لإعلان الجمهورية الإسلامية في وقت سابق أنها "أرسلت قوات خاصة من اللواء ٦٥ في الجيش إلى سورية كمستشارين"، مؤكّدة في إعلانها أنها تستخدم جيشها النظامي إلى جانب قوات الحرس الثوري في مساعدة قوات النظام، خاصة على جبهة حلب.

من المفيد الإشارة هنا إلى أن سيطرة (جيش الفتح) وفصائل أخرى على بلدة خان طومان ومعمل البرغل وتلة الدبابات الإستراتيجية، القريبة من الطريق الدولي حلب ـ دمشق والتي تُعدّ بوابة حلب من الجنوب، يجعل خطّة النظام بخصوص حصار مدينة حلب أمرًا صعبًا جدًّا.

على الجانب السياسي، عزّزت إيران تأكيدها الانخراط الكامل في الحرب على حلب في الرسالة التي نقلها المستشار الأعلى لخامنئي للشؤون الدولية، علي أكبر ولايتي، والتي تزامنت مع وصول ما ادّعت أنهم "مستشارين عسكريين إيرانيين جدد"، إذ أكّد الأسد في استقباله ولايتي في الثامن من أيّار/ مايو الحالي "الطمأنينة التي يشكلها الحضور الإيراني في الأوقات الحسّاسة" في حين رأى ولايتي أن "الأسد تمكّن خلال السنوات السابقة من إدارة أمور البلاد بحكمةٍ وشجاعةٍ ووعي.. وأنه سيقود هذا البلد إلى برّ الأمان والنجاة في نهاية المطاف".

على التوازي، ظهر تباين بدرجة أو أخرى بين موقف روسيا وموقف كل من النظام وإيران، تجلّى بأمرين: الأول الموقف من معركة حلب، والثاني الموقف من مؤتمر جنيف ٣. ففي حين يريد النظام وإيران من وراء فتح معركة حلب القضاء على المعارضة وإعادة بسط السيطرة على المدينة بأسرها، وإفشال جنيف ٣ والقضاء على العمليّة السياسيّة برمّتها وتفعيل الخيار العسكري، ومن ثم، فرض الحل المخبّأ في جعبة الأسد؛ تريد روسيا ممارسة مزيدٍ من الضغوط على المعارضة لإعادتها إلى طاولة التفاوض، لكن مع خفض سقف تطلّعاتها، والعمل على إعادة بثّ الحياة في جنيف ٣، والوصول من خلاله إلى فرض حل سياسي متّفق عليه مع الولايات المتحدة يضمن لها مصالحها، ولا يختلف في جوهره عن الحل الذي يرتئيه النظام، فضلًا عن رغبة روسيا في إحراج تركيا وإرباكها عبر إغراقها بأفواجٍ جديدةٍ من النازحين الجدد المتوجّهين نحو حدودها المغلقة.

تبدو روسيا في عجلة من أمرها للوصول إلى مثل هذا الحل في الأشهر المتبقية من عهد الرئيس الأميركي باراك أوباما والإدارة الأميركية الحالية، لأنها ليست على يقين من كونها تستطيع العمل مع الإدارة المقبلة، أكان على رأسها هيلاري كلينتون (الديمقراطية) أو دونالد ترامب (الجمهوري)، بالكيفي نفسها التي تعمل بها مع أوباما وإدارته الراهنة.

بالمقابل، فإنه لا يبدو أن الولايات المتحدة في عجلة من أمرها لإنفاذ حلٍ للأزمة السورية، فهي ما زالت تدير اللعبة من الخلف، وتحصد في أغلب الأحيان نتائج لعب الآخرين، ومن الواضح أنها لم تقف ضدّ معركة حلب، على الرغم من التداعيات التي رافقتها وأحاطت بها، لا بل برّرت، بصورةٍ أو بأخرى، وعبر العديد من تصريحات مسؤوليها، القصف العنيف الذي كانت تتعرّض له، خاصة تلك التصريحات التي أشارت إلى التداخل القائم على الأرض بين (جبهة النصرة) وفصائل المعارضة الأخرى، وعلى مدى الأسبوعين اللذين استغرقتهما المعركة، لم تُدن أو تشجب القصف بل دانت شدّته فحسب، واكتفت بأن دعت روسيا إلى الضغط من أجل لجم نظام الأسد.

توحي المواقف الروسية والأميركية بوجود تنسيقٍ وتوافقٍ بينهما على ممارسة المزيد من الضغوط على المعارضة السورية، وعلى ضبط التحرك السياسي والدبلوماسي في الإقليم وفي أوروبا لإبقائه تحت سقف توافقاتهما، وفي الوقت نفسه تظهر تناقضات في التصريحات توحي بأن التوافق بين البلدين العظميين هو على الحدود الدنيا فحسب، وهي الحدود التي لا تسمح بسقوط النظام ولا بانتصاره، كما لا تسمح بانتصار المعارضة ولا بانهيارها، وإن صحّت هذه التناقضات فإن هذا يعني أن حلّ الأزمة السورية ما زال مؤجلًا لحين توفّر التوافق الروسي الأميركي الكامل على سلّة من الملفات الدولية العالقة بينهما.

أمّا دول (أصدقاء الشعب السوري) الأوروبية والعربية فيبدو أنها الأقل تأثيرًا في هذا المسار، إذ انكفأ الدور الأوروبي، الفرنسي والألماني على وجه الخصوص، منذ إغراقهما بقضيتي الإرهاب واللاجئين، واقتصر على بعض التحركات السياسية والدبلوماسية. ففي لقاء برلين في ٣ أيار/ مايو الذي جمع وزيري الخارجية الألماني والفرنسي مع الموفد الخاص للأمم المتحدة، أعرب المنسق العام للهيئة العليا للمفاوضات عن امتعاضه من المقترحات التي حملها الموفد الخاص وأعلن رفض المعارضة لها، وفي لقاء باريس في ٩ أيار/ مايو الذي جمع وزراء خارجية (أصدقاء سورية) طرح وزير الخارجية الأميركي جون كيري البيان المشترك الأميركي الروسي لضبط تحرك هذه المجموعة، وفي نهايته جرى الإعلان عن الاتفاق على دعوة المجموعة الدولية لدعم سورية إلى الانعقاد في فيينا في ١٧ أيار/ مايو الحالي.

ليست تركيا أفضل حالًا، فقد انكفأ دورها أيضًا بعد أن جرى إنهاكها بعدة قضايا، كملفّ النازحين، وملف اللاجئين، مرورًا بملفي (داعش) و(الكانتون) الكردي الذي يسعى حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي يُعدُّ امتدادًا سوريًا لحزب العمال الكردستاني التركي لإقامته على حدودها الجنوبية، والأهم، تأثير الأزمة السورية على السياسة الداخلية التركية، فثمة تقارير تتحدث عن عدم رضا الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عن الاتفاق الذي توصل إليه رئيس الوزراء أحمد داود أوغلو مع الاتحاد الأوربي بخصوص اللاجئين السوريين، وعن تباين أيضًا بين الاثنين في التعامل مع المسألة الكردية، وهي إحدى المسائل الكامنة وراء استقالة أوغلو من رئاسة الوزراء ورئاسة حزب العدالة والتنمية الحاكم.

استحقاقات

يمكن الإيجاز بأن القضية الشائكة الكبرى الآن في الأزمة السورية تتحدّد في أهم تجلياتها بقصور فعالية القوى السياسية السورية المعارضة وعجزها عن صوغ حلولٍ تتوافق مع تطلعات الشعب الثائر، هذا القصور، والضعف البنيوي لهذه القوى، جعل من الخارج الجهة الأكثر تأثيرًا في مسار الحلول والتسويات، وفي الكثير من الأحيان بات الخارج هو الطرف المُقرر.

يمكن لمعركة حلب أن تكون مقبرةً لمؤتمر لجنيف الثالث وللعملية السياسية، ويمكن أن تكون محطة لاستئناف مساره من جديد، ويبدو من مجمل التطورات أن الميل والقرار يصبان في جهة استئناف هذا المسار، وغالبًا سوف ينجلي هذا الأمر في اجتماع "مجموعة الدعم الدولية" الذي سيلتئم في فيينا في السابع عشر من هذا الشهر، لكن، لا ينبغي التعويل كثيرًا على تفاهم أميركي ـ روسي في المنظور القريب يُطلق مفاوضاتٍ جادة تفضي إلى انتقالٍ سياسيّ ذي معنى.

في هذا السّياق تبرز عقدة السقف الزمني الناظم لبرنامج أعمال مؤتمر جنيف الثالث والمُحدَّد بقرارات أممية والذي ينبغي على جميع الأطراف احترامه، فقد منح القرار ٢٢٥٤ مدة ستة أشهر لتشكيل "هيئة حكم ذات مصداقية وغير طائفية وشاملة"، وصوغ دستور جديد يُعتمد في غضون ١٨ شهرًا، وهذا يعني أن مهلة شهرين كحد أقصى تفصلنا عن الموعد المُفترض لتشكيل الهيئة الحاكمة الانتقالية، وعلى المعارضة السورية التمسك بهذه المواعيد لإحراج النظام السوري وحلفائه.

كذلك من الواضح أنه كلما تقدم الوقت ستزداد الضغوط الدولية على الهيئة العامة للمفاوضات بغية خفض سقف مطالبها، وفي الغالب ستتنوع الضغوط وتتوسع، وهذا يتطلب من الهيئة أن تكون لديها استراتيجية جادة وبرنامج متكامل لمواجهة هذه الأمور كلها، وقد يكون في مقدمة المطلوب:

ـ التفاهم بين مكونات الهيئة على الحفاظ على بنيتها بالاستناد إلى برنامج سياسي واضح ومتوافق عليه، يلبي الحدّ الأدنى من تطلعات الثورة السورية والمصالح الوطنية.

ـ تمسك الهيئة العليا للمفاوضات بربط التفاوض بوقف هجمات النظام، مع الضغط من أجل وقف إطلاق النار ليشمل كل سورية.

ـ وضع الملفّ الإنساني فوق الطاولة باستمرار، والإلحاح على إثارته في وسائل الإعلام وفي العلاقات مع الدول ومع الأمم المتّحدة.

ـ التمسّك ببيان جنيف ١ كمرجعية للمفاوضات، والإصرار على مبدأ الانتقال السياسي وفق الهيئة الحاكمة الانتقالية ذات الصلاحيات التنفيذية الكاملة من دون الأسد.

ـ الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع الدول العربية والإقليمية والدولية وعلى حوار مفتوح معها.

إعداد هيئة التحرير

عن وحدة دراسة السياسات في مركز حرمون للدراسات المعاصرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center For Contemporary Studies

الجهاد السوري... إلى أين؟!!

يناقش الكاتب قضية الجهاديين من أصل سوري في تنظيم الدولة الإسلامية «داعـش» ويعتبر أن الأيـام القادمة ستظهر سوريا كدولة رائدة في تخريج الجهاديين من قادة ومقاتلين. حينها لن يصلح أي عطار ما أفسده الدهر.

لطالما انشغل العالم بالمقاتلين المنضمين إلى تنظيم الدولة في سوريا والعراق، والذي انضم إليه مقاتلون من عشرات الـدول في العالم، وعلى الرغم من أن جغرافية التنظيم تهيمن على أراضٍ في سوريا والعراق، إلا أن الاهتمام ـ على حد معرفة الكاتب ـ بالمقاتلين من هذين البلدين، لم يلق نفس مصير الاهتمام. على الأقل، بما يخص المقاتلين السوريين، وقد يكون الأمر تابع أولا لضياع عدد أرقام السوريين في التنظيم، كون تنظيم الدولة كان قد استضاف نفسه على أراضٍ سورية، ومنتسبيه من السوريين لا يحتاجون إلى قطع حدود دولية ليتم مراقبة حركة دخولهم وانضمامهم اليه، وثانياً قد يعود إلى عدم اهتمام أو قلة خبرة الصحفيين والكتاب السوريين بالمقاتلين السوريين وظاهرة تأييدهم وأسبابه للتنظيم، وهو وزر يحمله الجميع دون استثناء. الأمر الأهم من كل ذلك هو شح المعلومات الخارجة من التنظيم عن مقاتليه بشكل عـام، وعن السوريين منهم بشكل خاص. كما أن أغلب المقاتلين السوريين يتفيؤون تحت جناح جبهة النصرة وحركة أحرار الشام، وباقي الفصائل. الغموض إلى الآن يلف العدد الفعلي لمقاتلي التنظيم كما يلف الأسباب التي أدت بهؤلاء للانضمام اليه. تباينت واختلفت التكهنات والتوقعات والاستنتاجات حول تنظيم الدولة، ولم يقف أحد إلى الآن تقريباً، على الأسباب والنتائج ولماذا تغوّل بهذه السرعة. وما زالت داعش تشكّل البجعة السوداء والنقطة العمياء في عين المراقبين والمحللين والجميع عما في جعبته من مفاجآت، وما التفجيرات الأخيرة في فرنسا وبروكسل، إلا مثال عن أن البجع ليسوا جميعا بيض، ولا يمكنك التكهن بعمومية ذلك.

تعتبر سوريا بأنها أكبر مركز استقطاب للجهاديين في العالم، وكانت السبّاقة على مثيلاتها كأفغانستان والشيشان وحتى العراق. لكن العهد بتفكيك الظاهرة الجهادية السورية لم يحن إلى الآن، وكأن هذه الظاهرة لا تستحق الاهتمام وتفكيك جوانبها، وكأن الجهاديين السوريين لا مكانة عالية لهم في عالم الإرهاب على الرغم من أن بعضهم كانوا قد شاركوا في تمكين مكانة تنظيم القاعدة والتنظير له، إضافة إلى قتال السوفييت في أفغانستان، ومنهم عقول عبقرية في تنظيم الأهداف والخطط والمعارك، كأبي مصعب السوري، الذي اعتبر فيلسوف القاعدة والجهاد العالمي. كما شارك العديد من السوريين في العمليات الانتحارية في العراق، زمن مقاتلة الاحتلال الأمريكي، والصحوات، والجيش العراقي بعدها. عدا المتطوعين، كمقاتلين وأعدادهم كبيرة، ولم يرجع العديد منهم إلى سوريا بعد أن قضوا نحبهم في العراق. لم يسلط الضوء على ذلك. دائماً وإلى الآن، كان إخوانهم من الخليج والسعودية ودول المغرب العربي يسرقون الأضواء منهم وعديدهم يبزّ على عديد السوريين، والذين قد تراوحت أسباب انضمامهم للقتال في العراق بين انتماءات عشائرية متجاوزة للحدود، وبين مشاعر دينية لقتال الكفار والمرتدين، بالإضافة إلى الثقافة اليومية المتخمة بقومية عربية مُتَخيلة تعتمرها عقلية غيفارية لا تعرف حدوداً للأرض العربية، كان السوريون قد تربوا على خطابها في جهاز لسلطة، شوهتها وأبعدتها عن روحها الأصيلة مستغلة بذلك عواطف المجموع السوري لتوجيهه إلى الخارج، بغاية تغييبه عن الداخل، ومطية لقمع الأصوات المنادية بالتغيير.

حسب استطلاع للرأي أجرته مؤسسة أوبنيون ريسيرش بيزنس، عام ٢٠١٤، على عيّنة من السوريين، أظهر أن ٤٪ فقط من السوريين يؤيدون تنظيم الدولة، ويرون أنه يمثل مصالحهم، بينما ارتفعت النسبة إلى ١٧٪ في عام ٢٠١٥، حسب تحليل لمعهد كلاريون، بعد أن استند على عدة استطلاعات للرأي حول التأييد للتنظيم في بعض دول المنطقة ومن بينها، عينة من اللاجئين السوريين في دول الطوق السوري. إضافة إلى ما ذكر، تشير الأعداد التي توفرت ـ بالرغم من عدم صدقية بعض المصادر ـ عن السوريين المشاركين في القتال والعمليات الانتحارية، بأنها ليست بقليلة، ولا يشفع ذلك أن التنظيم يحتل أرضاً سورية ويجند جنداً سوريين، أن تكون قائمة المنتحرين طويلة. ولا يجب الركون إلى الطمأنينة، من قبل أحد إلى أن عدم تأييد القاعدة الشعبية للتنظيم، لن يساهم في امتداده أو استمراره، والأهم، لن يكثر المشجعون له في ملعب الجهاد السوري، الآن على حياته أو بعد زواله. فانسداد الأفق في وجود حل سياسي أقله، وعدم وجود بديل عن التنظيم يمثل أهل المناطق التي يسيطر عليها، ويخدم مصالحهم، سيكون للأمر ارتداداته المستقبلية على كافة الصعد، كما أن داعش تُعمل سكينها في العقل الجمعي السوري إن وجد أصلاً، وتمحي أي أمل داخل الكثيرين، في إحياء رغبة لبناء عيش مشترك سوري. مضافاً إليه تسرّب أعداد كبيرة من الأطفال عن التعليم، وضياع آمال هذه الأجيال والأجيال التي سبقتها.

مؤخراً، كان ظهور حاملي الجنسية السورية على شاشات التلفزة كمشاركين في العمليات الانتحارية العالمية، على قلتهم إلى الآن، وقع الصاعقة وعدم التصديق، ولكن الآن وعلى أراض سورية، تُخرج داعش أجيالاً انتحارية مدججة بأيديولوجيتها، فهي تنشئهم على أن الجميع قد تخلى عنهم وأن الآخر هو عدوهم وعدو دينهم. هذه الرجة النفسية لن يشفى منها أحد وتحتاج إلى مدد طويلة لتعريتها في أذهان هؤلاء، ولكن وهنا تكمن الخطورة، أنه إلى أن تضع الحرب أوزارها، ويرحل من أعمل قتل السوريين بدءاً من نظام بشار الأسد إلى داعش، سيكون للأجيال هذه كلمتها والأخطر فعلها، على الساحة السورية والعالمية، وستظهر سوريا كدولة رائـدة في تخريج الجهاديين من قادة ومقاتلين. حينها لن يصلح أي عطار ما أفسده الدهر.

سومر العبد الله

ثقافة التمثيل بالجثث

آخيل الآتي إلى عقر دار طروادة طالباً الثأر من هكتور الذي قتل ابن عمّه وصديقه الحميم برتوكلس، أحد أبطال إسبارطة. غزّ آخيل سيفه بعناية في صدر هكتور الجاثي فاقداً حركته إثر طعنة رمح مباغتة في كتفه بعد مبارزة دامت لساعات بين البطلين. ربط آخيل ساقي هكتور بحبل خلف عربته، نظر خلفه حيث أهل وحاشية هكتور يتابعون المبارزة من فوق سور قصر طروادة، ثمّ جرّ جثّة البطل هكتور وراءه راحلاً مرفوع الرأس، في مشهد مهين لهيبة طروادة.

ما فعله آخيل بجثّة هكتور كان بمثابة تحقير مقصود لسيرة بطولات هكتور في طروادة.

لا يعدّ أوّل ولا أخر ممارسة لا أخلاقيّة في تاريخ الحروب البشريّة بحقّ جثّة قتيل في ساحة المعركة. إنّما ما يشفع لآخيل فعلته المشينة هو تسلّل بريام والد هكتور إلى معقل آخيل المحصّن وطلب من آخيل أن يقيم جنازة تليق بمكانة ابنه هكتور، بطل طروادة، رضخ آخيل لتوسّلات بريام وأمر أتباعه بفعل ما أراده الملك.

عبر التاريخ مارست كلّ الشعوب التمثيل بجثث قتلى خصومها حين الحروب، لم تفلح الديانات السماويّة في دحر هذه الثقافة الثأريّة لدى القبائل الهمجيّة، حسب وصفهم حال المجتمعات قبل هطول الرسائل التنويريّة على الرسل من السماء. بالرغم من أنّ محمّدًا نهى عن التمثيل بالجثث حين الغزوات «اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً»(الحديث أخرجه مسلم في صحيحه).

إلّا أنّ القادة المسلمين العسكريّين في لحظة نشوة انتصارهم تجاهلوا نصائح محمّد حول حسن معاملة القتلى، واعتمدوا آيات قرآنيّة كحجّة أقوى من حديث رسولهم البشريّ مثلهم، إذ تبيح لهم بضع آيّات ردّ الصاع صاعين «فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَااعْتَدَى عَلَيْكُمْ». (البقرة: ١٩٤).

في لحظة انتصار دينه سامح محمّد المُشركة هند بنت عتبة التي أكلت كبد عمّه حمزة قبل أن يبرد دمه. إلّا أنّ الحجاج تجاهل سماحة محمّد واتّكأ على ما جاء في الكتاب ليمارس حقده ضدّ جثّة عدوّ مسلم وليس بكافر! حين علّق جثّة الزبير مقلوبة على الشجرة بعد قطع رأسه، وراح يراقب نزف دمه بلذّة حتّى جفّ.

تتالت حكايات التمثيل بالجثث في حروب الفرق الإسلاميّة فيما بينها، وكأنّ الإسلام لم يأتِ بثقافة مغايرة عن الكفّار الهمج؟!

في كربلاء جُعلِ من رأس الحسين كرة يشوطونها بينهم. أمّ الخليفة المقتدر احتفظت برأس الحلاّج عاماً كاملاً في غرفتها بعد تقطيع جثّته بوتيرة باردة في أيّام متتالية.

ومازال - حتّى الآن - ثمّة فقهاء وشيوخ يبيحون التمثيل بالجثث وإهانة حرمتها بعد الموت. ما مورس بحقّ الجنود الأمريكان الأربعة في الفلّوجة، مثلاً، وليس انتهاءً بما يحدث في سورية كلّ يوم منذ خمسة أعوام.

مشاهد التمثيل بجثث قتلى الخصم تصدّرت واجهة الإعلام منذ انطلاق الربيع العربيّ. في سورية بات عرض الجثث المشوّهة على الوسائل الإعلاميّة المرئيّة - لكلّ الفئات المتحاربة - مادّة إعلاميّة جاذبة للمتلقّي، بل تؤدّي وظيفة الشحن العاطفي للموالي للفئة العارضة، بدون استثناء أيّة فئة مسلّحة أرادت فرض سلطتها على رقعة جغرافيّة ما، بالرغم من تباين المبرّرات لهذه الممارسات الجانبيّة، بين فئة وأخرى، إلّا أنّ الفعل واحد في دافعه الأخلاقيّ والنفسيّ.

الكرد شعبٌ من شعوب هذه الجغرافية الثقافيّة، ورثوا من هذه الثقافة كما ورثت الشعوب الجارة لها، ذات البعد النفسيّ والتجذّر العميق في الوجدان.

رغم جهود الأحزاب السياسيّة الكرديّة لهجر الثقافة الدينيّة عبر تبنّيها العلمانيّة كنهج حياة، إلّا أنّ ادّعاءاتها للعلمانيّة لم تتخطّى الخطاب السياسيّ الجافّ على الورق، ولم تفلح لتصيّر العلمانيّة كممارسة حياة وثقافة مجتمع. استبدلوا الله بأيقونات ورموز بشريّة، مثل أقرانهم من الحركات العلمانيّة في الشعوب المجاورة، تلك العلمانيّة لم تغيّر في طقوس عبادتها للرموز البشريّة عن طقوس عبادة الله لدى الديانات السماويّة الغيبيّة، سمعنا وشاهدنا أنصار بشّار الأسد «العلمانيّ» يركعون له كما يركع المؤمن لربّه في السماوات. وكاد أن يكون هناك إجماع لدى أنصار حزب العمّال الكردستانيّ «العلماني الماركسيّ» – لولا الحياء - على تكريس عبد الله أوجلان نبيًّا للشعب الكرديّ، لكنّ الممارسات الحياتيّة اليوميّة تتعاطى مع أوجلان كنبيّ مكرّس بالفعل له «خروقاته الطبيعيّة».

ما حدث في عفرين بتاريخ ٢٨ نيسان الفائت، من عرض جثث القتلى التي حظيت بها «قوّات سوريا الديمقراطية» إثر حربها مع فصائل المعارضة الإسلاميّة في محيط تلّ رفعت شمال حلب، كان تجلّيا صريحاً لثقافة الاحتفاء الجمعيّ «الطقوسيّ» للشعائر الدينيّة.

المشهد أقنع حتّى المثقّفين الكرد دعاة العلمانيّة أنّه محقّ، وأنّه احتفاء يليق بقذارة العدوّ، لا عتب على هذا العرض المثير، هو في سياق الردّ بالمثل على أفعال الخصم الشنيعة. تنكّر المثقّفون قبل العوام لقناعاتهم الإنسانيّة عمداً، وضربوا عرض الحائط ميثاق حقوق الإنسان الذي يحرّم التمثيل بجثث قتلى الحروب.

في هذه اللحظة العاطفيّة لم يختلف العلمانيّ صاحب الدعوة للحرّيّة والإنسانيّة عن خصمه الإسلاميّ المتخلّف، الهمجيّ القادم من مجاهل التاريخ، حسب وصفه.

معظم من استهجن فعل التمثيل بالجثث في عفرين كان دافعه سياسيّ، مبني على خصومة مع قوى «سوريا الديمقراطية» التي يقودها حزب ال ب ي د، المنسّق سرًّا مع النظام السوريّ، تذرّع المستهجنون الكرد بأنّ المشهد لا يليق بأخلاق الكرد المعروف بالتسامح تاريخيًّا - كأنّ الكرد عاشوا في رقعة عازلة عن ثقافة جيرانهم عبر التاريخ – ودعموا مبرّر تنديدهم، أنّ رؤية الأطفال للجثث ستزرع فيهم نزوعاً للعنف والكراهية لا تزول مستقبلاً. لا شكّ أنّهم في الحجّة الأخيرة محقّون، كان يجب استبعاد الأطفال من مشاهدة هذا العنف المفتعل، ولو أنّ الأطفال ليسوا غرباء عن هذه المشاهد، فهم في كلّ لحظة على تواصل بها، عبر الأحاديث الشفهيّة في محيطهم أو وسائل الإعلام.

كلّ المتحاربين في سورية أباحوا لأنفسهم ابتكار فنون التمثيل بجثث الخصم، متّكئين على مقولة «كلّ شيء في الحرب مباح»، هذه العبارة التي توحي بأنّ التمثيل بالجثث يتخطى ردّ الفعل الفرديّ لشفي الغليل كما فعل أبو صقّار بأكل قلب ضحيّته، إنّما قد تكون ممارسات منظّمة؛ قرار تنظيمها صادر عن القيادة المسؤولة.

«داعش» لا ينكر مسؤوليّته الجماعيّة، وكذلك ال ب ي د، لم تنكر مسؤوليّتها حين مثّلت بجثث آل نعسان في عفرين قبل أربعة أعوام، المفاجئ أنّها استنكرت عرض جثث قتلى تلّ رفعت، وأدرجت تلك الفعلة تحت بند تصرّف فرديّ، رغم أنّ المشتركين بأداء ذاك العرض المهين هم كوادرها الحزبيّة الواسعة وأفراد حكومة كانتون عفرين وفئات شعبيّة موالية!

الاستثمار الدعائيّ لصور التمثيل بجثث قتلى الخصم، على الأقلّ عرضها مشوّهة في مشهد مهين، ليس مردّه الفعل وردّ الفعل فحسب، إنّما هو تعبير عن ثقافة عدوانيّة عميقة تجاه الآخر، حيًّا وميتاً، لم يتجاوزها الدينيّون التقليديّون ولا المتبجّحون بالعلمانيّة، دعاة الديمقراطيّة والتسامح، المدافعون عن حرّيّة حقوق الإنسان.

محمّد جيجاك

عوالم قذرة في المنظومة السياسيّة الدوليّة والعربيّة

مع كلّ حالات التشتّت والضياع والضبابيّة بآليّات اتّخاذ القرار الدوليّ ضمن الثورة السوريّة، نصحني أحـد الأصـدقـاء اليافعين بمشاهدة مسلسل أمـريـكيّ بـعـنـوان «The House of Cards»

يتحدّث المسلسل عن: كيف تدار الأمور داخـل الغرف الضيّقة للولايات المتّحدة الأمريكيّة ضمن أروقـة «البيت الأبيض» وكيف يصنع القرار وكيف تحشد الإمكانات وكيف تتمّ التسريبات وكيف تصنع التحالفات بطريقة أقلّ ما يقال فيها إنّها طريقة براغماتيّة من النوع القذر والقذر جدًّا.

تستطيع أن تشاهد عبر هذا المسلسل أمراض السلطة والتسلّط وبإمكانك أن تتعرّف على خفايا اللعب واستخدام التفاصيل الشخصيّة للأفراد بسياقات لا أخلاقيّة ولا تعبّر بحال من الأحوال عن الشعارات الكبيرة ذات المضامين الكبيرة من مثيل التحرّر، الحرّيّة والرأي والديموقراطيّة.

بإمكانك أن تشاهد رجل السلطة بقمّة الهرم الدوليّة، كم يبدو وصوليًّا زئبقيًّا فضائحيًّا يتقن أساليب الخداع والكذب ويتحدّث بعكس ما ينوي فعله.

ستشاهده بدون مساحيق التجميل وبدون إضفاء اللمسات الدعائيّة السماويّة، سواء أكان أصوليًّا منغلقاً أو علمانيًّا منفتحاً.

ستستغرب كيف أنّ العمل الأوّل الذي قام به بطل المسلسل المطلق بعد وصوله لسدّة الرئاسة على مستوى القرار الداخليّ والدوليّ كان الذهاب والتبوّل على قبر أبيه كرخصة تفتح المجال أمـام مخيّلة المشاهد لكمية الوساخة المتوقّعة من هذه الشخصيّة ولتضعك أمام مسؤوليّة كبيرة حين تضع صوتك لتختار أهل الثقة الذين سيضعونك بموقف المُحاسب على الصوت الذي قدّمته وأنت لا تبالي بعظمة الفعل الذي أقدمت عليه وتبعاته في يوم لا ينفع مال ولا بنون.

يقدّم شخصيّة رئيس الـولايـات المتّحدة KEVIN SPACEY شخصيّة فنّيّة متفوّقة بالقدرة علي التعبير والفصاحة والحنكة واستخدام كلّ أنـواع الايـمـاءات بل وحتّى الوجوم المتقلّب والمتبدّل المتعلّق بالحاجة والظرف.

يحسب للكاتب اسـتـخـدام الإمـكـانـات التعبيريّة الشديدة التعقيد، للممثّل KEVIN SPACEY، الفظيع الإمـكـانـات، حين يمكّنه من التوجّه إليك كمشاهد بشكل مباشر ليستحضرك في خضم الواقعة واشتدادها فيعطيك الخلاصة من الموقف وليعلّمك بكلّ خبث كيفيّة الاستفادة من الموقف بدون عظات أخلاقيّة أو موانع ذات أبعاد أخرى.

تدخل كثير من القضايا والملفّات الدوليّة ضمن المسلسل، وكيف تلعب الانتخابات الأمريكيّة مع «رؤسـاء» قتلة ومجرمون وعن كميّة التعاون والتشاور فيما بينهم، هنا يأخذ المجرم بشّار الأسد شخصيّة «محفوظ» على ما أذكر، وترفض الإضرار بآبار النفط التي خرجت عن سيطرتها لصالح التنظيمات الإسلاميّة، بل وتطلب فعليًّا التشاور بكلّ شأن يجري مع المنظّمات التي تصنّفها الولايات المتّحدة على أنّها إرهابيّة من مثيل «داعش» وهنا يكسر كاتب النصّ وبكلّ واقعيّة وقحة ممكنة عن كيف يتمّ التعامل مع مثل هذا الملفّ بكلّ بـرودة ممكنة، وفقط من أجل تحقيق نصر انتخابيّ ضمن توقيت محدّد ويضع الكاتب نظريّة الرئيس الحاليّ أوباما عبر استخدام القوّات الروسيّة لتخليصهم بأقلّ الخسائر المادّيّة والبشريّة الممكنة مع (العدو)، ويستخدم الكاتب ثنائيّة مواقف تتجاوز الفعل الجنسيّ المشين الذي يجعل من رئيس الولايات المتّحدة العاجز جنسيًّا يطلب من زوجته لتجلب عشيقها الذي يؤمّن لها احتياجاتها التي لم يعد قادراً عليها. وهي بالضبط الحالة التي سمحت بموجبها لروسيا بالتدخّل عوضاً عنها لصالح عصابة الأسـد، من أجل تحقيق هدف بعيد المنال بأقلّ الخسائر الممكنة.

لقد تجاوز المسلسل كلّ الخطوط التي يمكن تسميتها بالخطوط الحمر، وتناول العلاقات الشخصيّة والثنائيّة وللمجموعات المفتوحة منها والخاصّة، بأشكالها كافّة، وتداعياتها، وتحدّث عن اللامشروع في عالم يُفترض أنّه يحمل شيئاً من الوقار والاحترام والكمال وهو عالم السلطة.

تجاوز المسلسل تماماً الولايات المتّحدة الأمريكيّة كأكبر سلطة دوليّة حاليّة، ليتحدّث عن عالم من الخديعة تمارس شيئاً من التنظير القانونيّ الذي يتوافق مع المصالح، والمصالح فقط، والذي يتّخذ اسم منظومة المجتمع الدوليّة كشعار ما عاد برّاقا ولا خادعاً للكثيرين.

أعتقد أنّـه لا داعـي للشرح عـن الحالة المتوقّعة من العوالم القذرة الأخـرى، التي تجول وتصول ضمن منظوماتنا السياسيّة العربيّة التسلّطيّة الإجراميّة.

عبد الكريم أنيس

معهم يبدأ مستقبلنا

مستمرّون كطلّاب في ألمانيا

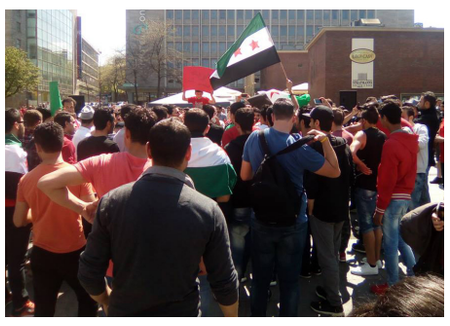

ترك لؤي (١٩عاماً) كليّة الكهرباء في جامعة حلب، قبل رأس السنة، واتّجه نحو تركيّا، بقي أيّاماً قليلة، ثمّ ركب البحر كما مئات الآلاف من السوريّين إلى أوروبا.

كذلك، بسّام من الحسكة (٢٣ عاماً) لم يكمل السنة الثانية كليّة الحقوق بدمشق، وغادر الحسكة إلى ألمانيا.

يوضع طالبو اللجوء في ألمانيا ضمن مراكز إيواء كبيرة تديرها جمعيّات ومنظّمات مجتمع مدنيّ مثل «مالتزير» و «كاريتاس»، وتشرف عليها الولاية التابعة لها، ومن هناك يتمّ توزيعهم على مدن مختلفة، وخلال ذلك تؤخذ بصماتهم ويسألون عن قصّتهم بعد أن يقدّموا ما تيسّر لهم من الوثائق التي تثبت أنّهم سوريّون، وأهمّها جواز السفر، وهذا تحديداً ما يكفل لهم الحصول على الإقامة بنسبة تصل إلى ٨٥٪ بحسب المصادر الحكوميّة الألمانيّة.

قوانين جديدة

وصل لؤي في فترة حاسمة فيما يتعلّق بالقوانين الأوروبيّة والألمانيّة على الأخصّ، فقد تصاعدت العمليّات (الإرهابيّة) في فرنسا، وتدخّلت ألمانيا من خلال عدّة محاور لإيقاف حركة اللجوء إلى الاتّحاد الأوروبيّ، أو على الأقلّ التحكّم بتدفّقه، وبعدّة طرق. لاحظ لؤي والكثيرون تسارع الإجراءات التي تتّصل بأوراق اللاجئين، لكنّ همّه الأكبر، وهو التسجيل في الجامعة، ما زال بلا حلّ. وتسيطر على تفكيره أسئلة، بغير أجوبة، فالغموض يلفّ مجال الرؤية لديه، كما يقول، ويضيف ببساطة: أنا ما بعرف شي، انتظار وفقط انتظار، هي حالتي.

يرى لؤي أنّ «جامعات سورية أصلاً لا قيمة لها، في السنوات الأخيرة الماضية، أصبحت المواد تباع وعلناً». ويتابع: لم يكن لجامعاتنا ترتيب بين جامعات العالم، وأصبح وضعها أسوأ الآن.

كريم: لا فرق في القبول الجامعيّ بين من يُمنح إقامة سنة (حماية مؤقّتة) أو ثلاث سنوات.

عندما سألته عن طموحه في ألمانيا؟ قال: يمكن أن أغيّر اختصاصيّ، فأنا لم أختر نوعيّة الدراسة، مجموع العلامات في البكالوريا وما يُعطى لك من استثناءات، هما ما يحدّدان فرعك الدراسيّ، إن أتيحت لك الدراسة، أحبّ أن أدرس الهندسة المدنيّة. سألت لؤي: ولماذا غادرت البلد؟ أجاب فوراً: الخوف. وأضاف: الخوف من كلّ شيء، الموت يتربّص بنا، وقد نساق إلى العسكريّة (الخدمة الإلزاميّة)، قد يوقفك أيّ حاجز ولأيّ سبب – ودون سبب - ولا أحد يعرف مصيرك.

كذلك، سألت لؤي عن إمكانيّة التسجيل في الجامعة لو حصل على إقامة لمدّة سنة واحدة (حماية مؤقّتة) فقال: حقيقة لا أعرف!

أوراق وانتظار

حملنا هذا السؤال لمدير الكامب الذي يقيم فيه الشابّ مؤقّتاً، المدير «كريم» وهو مواطن ألماني من أصول مغربيّة، يحضّر لنيل درجة الدكتوراه في جامعة إسن – ديسبورغ في أحد أقسام علم الاجتماع، فقال: لا فرق في القبول الجامعيّ بين من يمنح إقامة سنة أو ثلاث سنوات لجوء. وأضاف كريم: أنصح الشباب اللاجئين بالدراسة في المعاهد لينخرطوا سريعاً في العمل، وفي كلّ الأحوال لابدّ من إتقان اللغة الألمانيّة أوّلاً.

بسّام: لا أريد أن أقاتل أحداً، يريدون أن ألتحق بقوّاتهم! من سأقاتل؟

واستوقفنا شابّ سوريّ آخر، كان يراجع مدير الكامب أيضاً للسؤال عن إقامته التي تأخّرت، وعن الإجراءات اللازمة، أجابه المدير: بأنّنا لا نستطيع أن نفعل شيئاً، عليك أن تنتظر يا بسّام.

ساحات الفنّ واعتصامات الحريّة

تحدّث بسّام (٢٣ عاماً من الحسكة) عن دراسته في كليّة الحقوق جامعة دمشق، وقد اضطرّ إلى الخروج من سورية، وما زال في السنة الثانية من الدراسة، فقد طلب لخدمة العلم، وعندما عاد إلى مسقط رأسه الحسكة، طلبت منه «قوّات الحماية الكرديّة» أن يلتحق خلال العطلة الصيفيّة بها، فهرب من إلى تركيا، وأضاف: لا أريد أن أقاتل أحداً، يريدون أن ألتحق بقوّاتهم! من سأقاتل؟

خرجنا مع بسّام من الكامب، قال سأصحبكم إلى «الفيلهارموني» أنا أحبّ الموسيقى، وقد تعلّمتها بنفسي، أريد أن أتعلّم الموسيقى، لا أريد أن أتابع في مجال الحقوق، هنا القوانين مختلفة، واللغة مختلفة، لن استفيد شيئاً ممّا درسته في سورية، لا أذكر شيئاً منها، كنّا نقدّم المادّة عشرات المرّات، ولا نفهم شيئاً، ونتّبع أيّة طريقة (لتخلص المادّة) وننجح.

ويتذكّر بسّام الأهل، فيقول: يجب أن أرسل لهم شيئاً من المال، اليوم صار اليورو فوق السبعمائة ليرة سوريّة، وأبي موظّف متقاعد، راتبه اليوم لا يعادل بضعة يوروهات.

غصّ بسّام، ثمّ أردف بقوّة: اليوم هنالك اعتصام في ساحة كنيدي، ستجد الكثير من الشباب السوريّين، ممّن حالهم من حالي.

وصلنا الساحة، غنّى الشباب، وهتفوا لحلب، ولمعتقلي سجن حماة، ولكلّ المدن السوريّة. وتواعدوا على اللقاء في مدن أخرى، وأن لا يكفّوا عن الاعتصامات المدنيّة.

واتّفقوا أن لا حلّ يبدأ، إلّا بعد إسقاط النظام القاتل.

بشّار فستق

نصف سكان سوريا صاروا لاجئين

والبنك الدولي ما زال في مرحلة الدراسات

اتسمت السنوات الماضية بالتدهور الملحوظ للأزمة السورية التي استمرّت وحصدت مئات الآلاف من الأرواح، وأدّت إلى أزمة إنسانية هائلة وكذلك أزمة لجوء عابرة للمتوسط نحو أوروبا. وتشير التقديرات إلى نزوح نصف سكّان سوريا بحلول نهاية العام ٢٠١٥، أي حوالي ١١ مليون شخص، معظمهم داخلياً، مع ما يقارب الـ٤,٤ مليون من السوريين مسجّلين كلاجئين خارج البلاد، بالإضافة إلى ١,٥ مليون غير مسجّلين.

لبنان والأردن وتركيا هم أكثر البلدان تأثراً بهذه الهجرة الكبيرة للسكّان، التي لم يسبق لها مثيل منذ النفي القسريّ للفلسطينيين. حيث باتوا يشكّلون نسبة كبيرة من سكان البلد المضيف، كذلك حظيت بعض الدول الأوروبية على أعداد مهمّة من اللاجئين السوريين. لكنّ الاستجابة للأزمة، كما لحاجات السوريين النازحين واحتياجات المجتمعات المضيفة كانت في معظم الحالات مشوّشة وقصيرة الأمد واعتباطيّة وغير كافيّة.

هناك حاجة لمقاربة بعيدة الأمد لأزمة اللجوء السوري، مع الأخذ بعين الاعتبار غياب إمكانيّة الانعكاس السريع لهذا التدفّق للهجرة وأن المشكلة الأساسية تتعلّق بالنازحين داخليًّا. إذ حتّى لو توقفت الحربٍ في سوريا حالاً، فإن عودة النازحين داخلياً واللاجئين ستكون بالضرورة تدريجيّة ومرتبطة بسرعة تعافي سوريا وتنميتها وبطبيعة «اتفاقية السلام».

ولذلك، فإن فعاليّة برامج المساعدات الإنسانيّة الحاليّة، التي تتشكّل من المساعدات النقديّة وقسائم الغذاء والبطاقات الالكترونية، هي موضع شكوك كبيرة على المدى المتوسط، علماً أنّها تخفّف من معاناة السكّان الأكثر هشاشةً. كما أن استدامتها هي أيضاً موضع تشكيك، حيث لا يزال المانحون بعيدين عن تنفيذ التزاماتهم الحاليّة. هذا في وقتٍ تتمّ فيه الدعوة لمزيدٍ من التركيز على المساعدات الدولية من أجل التعليم وبناء المهارات والعمل.

وقد قام تقرير للبنك الدولي تمّ إنتاجه بالتعاون مع مفوضيّة الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين واستناداً إلى بياناتها، بمعالجة مسألة رفاه اللاجئين السوريين في لبنان والأردن. وقد أفضى التقرير إلى اقتراح توصيات لسياسات تتعلّق باللاجئين السوريين على المدى المتوسط من قبل مجموعة البنك الدولي.

يوحي تقرير البنك الدولي إلى جهود حثيثة تمّ بذلها لتحليل مجموعات معطيات المفوضية بالنسبة للاجئين السوريين في الأردن ولبنان. بالرغم من ذلك، يركّز التقرير على المعطيات الأردنيّة، في حين يذكر المعطيات اللبنانية فقط بإيجاز في الفصل الأخير. وهذا يمكن أن يكون مردّه إلى ضعف وقلّة المعطيات في حالة لبنان. لكن التقرير يصل إلى استنتاجات وتوصيات حول السياسات المتعلقة باللاجئين السوريين في الأردن ولبنان، وكأنّهما يتشاركان بخصائص متماثلة.

عدا عن ذلك، يتجاهل التقرير الإشارة إلى معطيات بلدانٍ مضيفة أخرى، ولا يذكر غياب الشفافية المتعلّقة بالمعطيات التركية، حيث تتبنّى المفوضية المؤشّرات العامة للحكومة التركية وتتعامل معها وكأنّها معطيات المفوضية نفسها (AFAD, ٢٠١٣). كما تغيب الشفافية عن المفوضيّة فيما يعلّق بالمعطيات المتاحة لديها والتي لا تتشارك فيها مع مراكز الأبحاث أو الإغاثة، حيث كان من الممكن أن تقوم وكالة مستقلّة بإجراء «مسح الزيارات المنزلية القصديّة»، كي لا يتمّ إدخال تحيز في المعلومات التي يتمّ جمعها، لأنّ المفوضيةٍ تقوم أيضاً بمراقبة وتوزيع المساعدات. فمثلاً، يشير التقرير إلى أثرٍ ضئيل لوضع العمل أو للمهارات على الفقر، وهذا يمكن ربطه بحقيقة أن المستفيدين من المساعدات قد يتجنّبوا الإشارة إلى أوضاع عملهم، خاصّة إذا كان هذا العمل غير غير نظاميّ.

هذا ويثير تحليل البيانات أيضاً بعض التساؤلات. حيث يتبنّى التحليل خطّ فقر المفوضيّة بشكلٍ غير مباشر، وهو أقلّ بكثير من خطوط الفقرٍ الوطنيّة المعتمدة في الأردن ولبنان. كما أنّ تحديد محدّدات الفقر وقيمة معاملاتها بالاستناد إلى نفس البيانات المدروسة لاستهداف الفقر قد يؤدّي إلى نتائج مضلّلة في مجال التغطية والتسرّب. إذ أنّ المتغيرات المستقلّة الأكثر أهميّة في تحديد الفقر (حجم الحالة أو الأسرة، عدد الأطفال، الازدحام، والوصول غير الرسميّ إلى البلد) لديها ارتباطات ذاتية متعدّدة محتملة. كما أنّ النماذج الرياضيّة تعاني من غياب بعض المتغيّرات والارتباطات بين المتغيّرات، وليس من الواضح كيف تمّ التعامل مع هذا الأمر. لكن مّا يثير الاستغراب استثناء التقرير لبيانات اللاجئين في المخيّمات (الزعتري، الأزرق، الإماراتي) من التحليل، « لأنّ اللاجئين في المخيّمات يستفيدون من أشكالٍ متعددة من المساعدات، بما فيها المأوى والتعليم المجاني والرعاية الصحية المجانية» (!) على حد تعبير التقرير.

يعترف البنك الدولي باستمرار امتداد آثار حجم وتعقيدات الأزمة السورية داخل المنطقة وخارجها. فعلى حدّ تعبير التقرير «قامت الاستجابة الإنسانيّة، منذ العام ٢٠١١، بمعالجة الحاجات العاجلة والضرورية للاجئين والسكّان المحليين بشكلٍ يتخطى برامج المساعدات الطارئة السابقةً في المضمون والتصميم... ولكن هناك إشارات قليلة أنّ الوضع قد وصل إلى توازنٍ قابل للإدارة» وفي الوقت ذاته، فإنّ استخدام التقرير لقواعد بيانات وزيارات منزليّة أجريت في ٢٠١٣/٢٠١٤، لا يأخذ بعين الاعتبار التغيّرات الكبيرة في وضع وحجم اللاجئين منذ ذلك الوقت في استنتاجاته.

لماذا لبنان والأردن فقط؟

إن اختيار هذين البلدين له أهميّته، وكذلك التغاضي عن دول الجوار الأخرى، العراق ومصر، وبشكلٍ خاصّ تركيا التي استقبلت معظم اللاجئينٍ السوريين الجدُد منذ العام ٢٠١٤.

ارتفع عدد اللاجئين السوريين المسجّلين الذين فرّوا من بلدهم من ٢,٨ مليون في أواسط ٢٠١٤ إلى ٤,٨ مليون في آذار/ مارس ٢٠١٦، أي بحوالي الضعف (وفقاً للمفوضية). وكان عدد اللاجئين المسجلين في لبنان يبلغ مليوناً في أواسط ٢٠١٤، وقد ارتفع بشكل طفيف مؤخراً ليصل إلى ١,١ مليون.

أمّا في الأردن، فقد استقرّ العدد على ٠,٦ مليون. أمّا في تركيا، فقد تطوّر عدد اللاجئين السوريين المسجّلين من ٠,٨ مليون في أواسط ٢٠١٤ إلى حوالي ٢,٧ مليون في آذار/مارس ٢٠١٦، وهو ما يمثّل أغلب الزيادة منذ ذلك الوقت.

مهما كانت الخلافات حول أعداد اللاجئين غير المسجلين، فإنّ التركيز على لبنان والأردن يعكس حقيقة أنّ اللاجئين يشكلون فيهما نسبةً ملحوظة من إجمالي عدد السكان، بالإضافة إلى المخاوف من توطين اللاجئين بشكلٍ نهائيّ في كلا البلدين، حتى بعد انتهاء الأزمة. وكان يمكن لإدراج تحليل حول حالة تركيا تقديم إضاءة مهمّة، خاصة في ظل تطوّر الأرقام هناك بشكل كبير، وأنّ تركيا هي المعبر الأساسي لطالبي اللجوء في أوروبا، وخاصّة بسبب الدلائل الحديثة التي تشير إلى ازدياد الفقر بين اللاجئين في تركيا (أزيفيدو وآخرون، ٢٠١٦). من وجهة نظر الفقر والصحة والتعليم، فإنّ تحليل حالة تركيا، بالإضافة إلى العراق ومصر، كان من الممكن أن يعطي إضاءات مختلفة، حيث تشير التقارير إلى صعوبة الأوضاع الإنسانية للاجئين في تلك البلدان. فمثلاً، إنّ ٤٠٠،٠٠٠ طفل سوري في تركيا هم خارج المدرسة (هيومن رايتس ووتش، ٢٠١٥) وفقط ١٤٪ من الأطفال خارج المخيمات، أي أغلبية اللاجئين، يذهبون إلى المدرسة (بيرتي ٢٠١٥، AFAD ٢٠١٣). هذا بالإضافة إلى أن الـ٢,٤ مليون لاجئ سوري خارج المخيمات يؤثرون على حياة ٨,٢ مليوناً من المجتمعات المضيفة في تركيا، وهي نسبة قريبة لتلك في لبنان والأردن.

كما لا يحتوي تقرير البنك الدولي أو مسح المفوضية على معلومات حول أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا قبل الأزمة حيث كان عددهم حوالي ٥٦٠،٠٠٠ نسمة، وهذا بالرغم من تعرّضهم لظروف قد تكون أسوأ من السوريين. فقد قام لبنان والأردن بوضع عوائق إضافيّة أمام اللاجئين الفلسطينيين في سوريا. بالرغم من ذلك، تشير التقديرات إلى لجوء ٤٣،٠٠٠ منهم إلى لبنان و١٥،٠٠٠ إلى الأردن (أنروا ٢٠١٥)، وحيث يبقى ٤٣٠،٠٠٠ منهم في ظروف بائسة في سوريا (أنروا ٢٠١٦). ويبقى أنّ الدمج الاقتصادي لهؤلاء اللاجئين أصعب بكثير من دمج السوريين في لبنان والأردن.

يجب معالجة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وفي الدول المضيفة على قدم المساواة مع المواطنين السوريين، حتى ولو كانت هناك منظمة أمم متحدة خاصّة بهم (الأنروا) تهتمّ بإدارة أحوالهم والمساعدات الإنسانية التي يتلقونها.

إعداد سالم مهتدي

المعايير المتبعة في توثيق الانتهاكات لدى المركز السوري للحريات الصحفية

١ ـ ضحايا الإعلام:

يقوم المركز السوري للحريات الصحفية بتوثيق الانتهاكات التي يتعرض لها الإعلاميون في سوريا مهما كانت جنسياتهم، جنسهم، عرقهم، طائفتهم، الجهة التي يعملون لديها أو الجهة المعتدية، بالإضافة إلى قيامه بتوثيق الاعتداءات التي يتعرض لها الإعلاميون السوريون خارج البلاد، ويسري الأمر ذاته على الانتهاكات التي تتعرض لها المكاتب والمراكز والمؤسسات الإعلامية، إضافة إلى ذلك لا يقوم المركز بنشر أخبار الانتهاكات إذا طلب الضحية أو ذويه ذلك.

٢ ـ وقوع الانتهاك خلال العمل الإعلامي:

يوثق المركز السوري للحريات الصحفية الانتهاكات التي تقع بحق الإعلاميين خلال قيامهم بالعمل الإعلامي، سواء تم استهدافهم بشكل مباشر أو غير مباشر، بذلك يوثق المركز على سبيل المثال الإصابة التي يتعرض له الإعلامي خلال عمليات القصف أو إطلاق رصاص طائش إذا كان يقوم بالتصوير، حتى إذا لم تتوفر النية لاستهدافه، لكنه لا يقوم بتوثيق حالة الإعلامي الذي أصيب في ظروف مماثلة إذا كان يقوم بعمل آخر لا علاقة له بالإعلام كإنقاذ الضحايا، أو كان من ضمن ضحايا قصف عشوائي استهدف مكان تواجده ولم يكن يقوم حينها بالعمل، كما لا يتم توثيق الحالات الناجمة عن أسباب طبيعية أو لا صلة لها بالإعلام مثل الوفاة الطبيعية أو حوادث السير.

٣ ـ حالة الإعلامي الذي يكون على صلة بالعمل المسلح:

يمتنع المركز عن توثيق الاعتداء الواقع على الإعلامي الذي له صلة ما بالعمل المسلح، مثل القيام بحمل السلاح أو نقله، حتى إذا كانت غايته من ذلك هي الدفاع عن النفس، كما يمتنع المركز عن توثيق الاعتداءات الواقعة على الإعلامي بسبب خطئه، كأن يقوم بارتداء اللباس العسكري أو يرفع رموزاً عسكرية بصورة تجعل التفريق بينه وبين المسلحين أمرا صعباً وبالتالي هدفاً محتملاً، لكن المركز يقوم بتوثيق الانتهاكات التي يتعرض لها الإعلامي الذي ترك العمل المسلح وقطع صلته به وفق هذا المعيار.

٤ ـ الإعلامي في القوى المسلحة:

يقوم مركز الحريات بتوثيق الانتهاكات الواقعة على إعلاميي القوى المسلحة شرط انتفاء صلتهم بالعمل المسلح وفق المعيار السابق، إلا أن التوثيق يجري في قسم منفصل عن توثيق الانتهاكات الواقعة على الإعلاميين حسب التوصيف الوارد في الفقرة الأولى الخاصة بضحايا الإعلام، كما يشير المركز في تقاريره إلى صفتهم هذه كإعلاميين لدى الكتائب المسلحة، ولا يدخلهم في التعداد العام لضحايا الانتهاكات بحق الإعلاميين، ويتم كذلك وضعهم في قسم منفصل في قاعدة البيانات.

٥ ـ تعريفات:

يسري النظام الداخلي لرابطة الصحفيين السوريين، وخاصة المواد المتعلقة بتعريف الإعلامي والصحفي والمواطن الصحفي في حالة التعارض مع هذه المصطلحات.

أ. الإعلامي/ة: مصطلح يشمل كل من الصحفي، المواطن الصحفي وكل من يعمل في الحقل الإعلامي.

ب. الصحفي/ة: هو الشخص الذي يمارس مهنة الصحافة ويكسب معظم دخله منها، وقد يرتبط بعقد عمل رسمي مع مؤسسة أو جهة إعلامية ما أو أكثر أو يعمل بنظام القطعة بشكل احترافي.

ت. المواطن الصحفي/ة: هو كل شخص يعمل في الإعلام ويخرج عن التعريف السابق، سواء عمل بشكل مستقل أو كان تابعا لمراكز أو جهات أو وسائل إعلامية.

ث. الانتهاك: هو كل اعتداء مادي أو معنوي واقع على الإعلامي أو على الوسائل الإعلامية بحيث يتسبب بإلحاق ضرر مادي أو معنوي به/ بها أو يمنعه/ا من العمل بحرية.

إعداد هيئة التحرير

سجن حماة 2016 على خطى سجن صيدنايا 2008

(تقرير عن استعصاء المعتقلين)

تحتجز عصابة نظام الأسد في سجن حماة المركزيّ ٧٦٢ معتقلاً سوريّاً، وقد شهد هذا السجن الذي يقع شرقيّ المدينة، ويعتبر مركز احتجاز مدنيّ رسميّ، وتخضع ملفّات المعتقلين فيه لمحكمة «مكافحة الإرهاب» بدمشق، ثمّ للمحكمة العسكريّة ومحكمة الميدان العسكريّة.

شهد هذا السجن احتجاجات عدّة نفّذها المعتقلون منذ عام ٢٠١٣، ويعتبر الاحتجاج الذي قام به المعتقلون على الأحكام الجائرة، الثالث منذ بدء الثورة السوريّة.

وقد تمكّنت الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان* من الاتّصال مع عدد من المعتقلين داخل السجن، وعبّر جميع من تمّ التحدّث إليهم عن خوفهم الشديد من قيام النظام باقتحام السجن ومعاقبتهم والانتقام منهم؛ كما سجّلت الشبكة وفاة معتقل مصاب بمرض السرطان بسبب رفض إدارة السجن إخراجه لتلقّي العلاج في الخامس من هذا الشهر، وهو اليوم الرابع للاحتجاج المذكور.

وقال مدير الشبكة: مرّت ساعات طويلة على قطع إدارة السجن للماء والكهرباء عن المعتقلين، ويجب علينا أن لا ننسى أنّ هناك العشرات ومن المرضى داخل السجن هم بحاجة أن تصلهم أدويتهم وخاصّة مرضى القلب والسكّري، وفي حال إصرار السلطات السوريّة على إنهاء الاستعصاء عبر الاقتحام بالقوّة، فنحن بلا أدنى شكّ أمام مذبحة شبيهة بما حصل في سجن صيدنايا تمّوز ٢٠٠٨، حيث تسبّب اقتحام السجن بمقتل العشرات، وفي ذلك الوقت ادّعى المجتمع الدوليّ أنّه لا يعلم مسبقاً، وهو الآن يعلم.

كما ذكر التقرير في القسم الثاني منه، حول تفاصيل الاستعصاء لإاورد شهادتين، الأولى للمعتقل (ي.ي) الذي قال: «مضى علينا أربعة أيّام دون طعام أو مياه ورائحة الدخان والغاز المسيل للدموع ما زالت في جناحنا، والهلال الأحمر لم يدخل إلى جناحنا بل اكتفى بالاقتراب من البوّابة فقط، ونشاهد عبر النوافذ التجمّعات العسكريّة التي يحشدها النظام لاقتحام السجن، إن لم يأتِ أحد لإنقاذنا فستكون مجزرة كبيرة بحقّنا كتلك التي حدثت في صيدنايا».

وشهادة المعتقل (ز.م) وفيها: «الشرطة قامت بتهديدنا عبر مكبّرات الصوت وقالت إنّنا سنندم إذا استمرّينا باستعصائنا، أما أريد الخروج ولا أعرف إلى متى سأبقى موقوفاً دون صدور حكم عادل، معظم المعتقلين هنا مضى عليهم ما لا يقلّ عن أربعة سنوات في السجن والاستماع إلينا أو حتّى الاطّلاع على ملفّات قضايانا في المحاكم».

في نهاية هذا القسم من التقرير، أدرجت فيديوهات ترصد على التوالي:

تجهيز قوّات النظام لعمليّة الاقتحام في ٢ أيّار

محاولة المعتقلين التصدّي للاقتحام في اليوم نفسه

وصول ٨ من المعتقلين المفرج عنهم إلى مدينة قلعة المضيق في ٣ أيّار

حالات اختناق لمعتقلين جرّاء إلقاء قوّات النظام لقنابل الغاز

محاولة قوّات النظام اقتحام السجن واندلاع حرائق في أجزاء منه في ٦ أيّار

في القسم الرابع من تقرير الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان أتت التوصيات:

إلى المفوّضيّة السامية لحقوق الإنسان:

١-الضغط على النظام للسماح بالزيارات الدوريّة والمفاجئة، ودون وجود عناصر الأمن للمنظّمات الدوليّة.

٢-الكشف عن أسماء المعتقلين، وأحكامهم وكيفيّة صدورها، وغصدار شهادة وفاة لمن قُتل تحت التعذيب.

٣-إلغاء المراسيم التي تمنح الحصانة لأفراد أجهزة الأمن.

إلى مجلس الأمن:

وجوب الإفراج عن المعتقلين السياسيّين ونشطاء الرأي والإغاثة فوراً، والتوقّف عن استخدام هذا الملفّ الإنسانيّ من قبل النظام كورقة تفاوض في سبيل بقاء هذا النظام مدى الحياة.

وشكر التقرير، الذي جاء في خمسة صفحات، في الختام المعتقلين الذين خاطروا بسلامتهم لإيصال المعلومات، وأهاليهم والمتضامنين معهم.

إعداد هيئة التحرير

*تأسّست الشبكة السوريّة لحقوق الإنسان في حزيران ٢٠١١، وهي منظّمة مستقلّة محايدة، غير حكوميّة، غير ربحيّة، معتمدة من قِبل الأمم المتّحدة كمصدر أساسيّ في جميع الإحصائيّات.

المركز السوري للحريات الصحفية يوثّق انتهاكات شهر نيسان 2016

وثق المركز السوري للحريات الصحفية في رابطة الصحفيين السوريين، والمعني برصد وتوثيق الانتهاكات بحق الصحفيين والمواطنين الصحفيين و المراكز الإعلامية في سوريا حدوث /٦١/ انتهاكاً خلال شهر نيسان ٢٠١٦ .

وثّق التقرير وفاة الإعلامي زاهر الشرقاط بتاريخ ١١ نيسان ٢٠١٦ في مشفى بمدينة غازي عينتاب التركية، متأثر ا بجراح أصيب بها في اليوم السابق نتيجة عملية الاغتيال التي تعرض لها في منطقة غازي مختار باشا، والشرقاط عمل معداً ومقدماً للبرامج في قناة حلب اليوم، وقد أصيب برصاصة في رأسه من الخلف، أطلقها عليه شخص مجهول الهوية، بواسطة سلاح كاتم الصوت قبل أن يلوذ بالفرار.

كما وثّق التقرير مقتل الإعلامي لؤي حوى بتاريخ ٢٩ نيسان ٢٠١٦ في بلدة مسرابا بالغوطة الشرقية لريف دمشق، بعد أن أصيب برصاصة قناص خلال اشتباكات جرت بين جيش الاسلام من جهة وفيلق الرحمن وجيش إلفسطاط المتحالفين مع جبهة النصرة من جهة أخرى.

ووثّق التقرير مقتل الإعلامي عقبة الحطاب المعروف باسم «أبو حذيفة» بتاريخ ٩ نيسان ٢٠١٦ في ريف حلب الشمالي، والحطاب كان يعمل كمراسل لحركة أحرار الشام الاسلامية وقتل برصاص تنظيم داعش، خلال تغطيته المعارك بين أحرار الشام وداعش في بلدة الراعي القريبة من الحدود التركية.

وكذلك وثّق مقتل الإعلامي عبد الله الصالح المعروف باسم «أبو خزامى الشامي» والذي يعمل الصالح لواء الفتح بتاريخ ٢١ نيسان ٢٠١٦ في ريف حلب الجنوبي، وقد قتل برصاص تنظيم داعش خلال تغطيته المعارك الدائرة بين لواء الفتح وداعش على جبهة براغيدة.

ووثّق التقرير إصابة مجموعة من الإعلاميين بجروح أثناء عملهم في التغطيات المختلفة كإصابة الإعلامي إبراهيم الخطيب مراسل قناة الأورينت بجراح بتاريخ ١٤ نيسان ٢٠١٦

في ريف حلب الشمالي بعد استهدف طيران النظام السوري طاقم الأورينت خلال تغطيته المعارك على جبهة الملاح في ريف حلب الشمالي، كما وثّق تعرض الإعلامي محمود دعبول المعروف باسم «محمود عرابي الديك» لمحاولة اغتيال بتاريخ ٢٣ نيسان ٢٠١٦ في مدينة الريحانية التركيةحيث أطلق عليه ملثمين النار بمسدس كاتم للصوت، وأصابت رصاصة رقبته، وتم نقله الى المستشفى حيث أصبحت حالته مستقرة.

وثّق التقرير عمليات خطف واعتقال وضرب إعلاميين حيث وثّق حادثة إقدام أشخاص مجهولي الهوية على خطف الإعلامي سيف الله أحمد مراسل قناة الأورينت نيوز بتاريخ ٠٩ نيسان ٢٠١٦ في منطقة الرستن بريف حمص حيث اعترضته سيارة بداخلها خمسة مسلحين، وقاموا بخطفه بعد تغطية عينيه، وتعرض للضرب والإهانة قبل أن يقوموا بإطلاق سراحه خلال أقل من ساعة في منطقة البلان، بعد مصادرة كاميرته وحاسوبه المحمول.

كما وثّق التقرير اعتقال الإعلامي روني محمد بكجي، مراسل موقع يكيتي ميديا من قبل مجموعة مسلحة تابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي مساء يوم الاثنين، ١١ نيسان ٢٠١٦ بمدينة ديرك/المالكية، وذلك بعد خروجه من احدى الكنائس بعد تغطيته ندوة حول السلم الأهلي هناك، وتعرض خلال احتجازه للضرب المبرح، ما سبب له كدمات ورضوض في مختلف انحاء جسده، تم إطلاق سراحه.

كما وثّق التقرير تعرض مراسل موقع يكيتي ميديا جنكين عليكو وذويه لمضايقات من قبل حزب الاتحاد الديمقراطي. فقد أقدم أشخاص يتبعون الحزب المذكور على رش باب منزل العائلة في مدينة الدرباسية بمحافظة الحسكة بمادة الزيت المعدني المستعمل بتاريخ ٣٠ نيسان ٢٠١٦ .

ووثّق التقرير إقدام أشخاص مجهولي الهوية على حرق مقر إذاعة آرتا إف إم في مدينة عامودا بمحافظة الحسكة ليلة ٢٦ نيسان ٢٠١٦ ، وخطف مديرها التنفيذي محمد حسن، المعروف باسم «صفقان» لوقت قصير، وتم الاستيلاء على بعض الأجهزة واللابتوبات قبل اضرام النار، الذي أتى على المقر بما فيه من معدات، حيث توقف البث بعدها.

وللعلم الإذاعة تقع في منطقة محصنة أمنياً وعسكرياً بشكل جيد بسبب تواجد قوات الآسايش ووحدات حماية الشعب التابعتين لحزب الاتحاد الديمقراطي في ذات المنطقة.

ووثّق التقرير أيضاً استهداف مكتب قناة الآن في بلدة كفر زيتا بريف حماة من قبل طيران النظام السوري بتاريخ ٢٦ نيسان ٢٠١٦ إثر سقوط عدة صواريخ في المنطقة المحيطة بمكتب القناة، وأصاب أحدها المكتب وأدى إلى تدميره بشكل كامل، وإصابة الإعلامي مصطفى جمعة، مراسل القناة والمصور عبدالله بكور وزميلهما أحمد عليان برضوض وجروح مختلفة.

وذكر التقرير أن السلطات التركية أفرجت عن الإعلامي عبد السلام حاج بكري المعروف باسم عمر أبو خليل بتاريخ ١٢نيسان ٢٠١٦ بعد ٢٣ يوماً من احتجازه. يعمل عمر أبو خليل مراسلا لموقع الجزيرة نت وصحيفة زمان الوصل الإلكترونية، وكان قد أعتقل بتاريخ ٢١ آذار ١٦٢٠ بعد مراجعته مديرية الهجرة بمدينة غازي عنتاب، حيث لم تعرف أسباب اعتقاله، وذكر أبو خليل للمركز السوري للحريات أنه لم يتم استجوابه مطلقاً ولم توجه له أي تهمة وأن ظروف اعتقاله كانت سيئة جداً.

والمركز السوري للحريات الصحفية، منظمة تتبع رابطة الصحفيين السوريين، تأسست في شباط ٢٠١٢ ، تهدف إلى الدفاع عن الحريات الصحفية في سوريا، ويعمل على توثيق الانتهاكات التي تقع ضد الإعلاميين والمراكز الإعلامية فيها وتلك التي تقع بحق إعلاميين سوريين خارج البلاد.

عبد الله منديل

الجوع يطرق أبواب الحسكة

الحسكة الغائبة ولو قليلاً عن الواقع الدموي الذي تشهده باقي المناطق في سورية، تحضر الآن في جوعها، نعم قد يكون واقعاً مترفاً للسامع والناظر، ألا وهو الموت بلا أشلاء وبلا دماء، الجزيرة السورية التي دُمر كل ما فيها عدا جدرانها وأبنيتها وكهوفها وخيمها .

وفقاً للأسعار التي بدأت بالارتفاع بشكل غير معقول، وغير مسبوق، حتى أصبح كيلو البندورة الواحد بدولارين ونصف في محافظة تعيش اكتفاءً ذاتياً بإنتاج الخضار!!...

المحافظة الأولى في إنتاج القمح السوري القاس المفضّل لدى السارقين في قوت البشر ودمائهم. سلة غذاء سوريا كما يتناقل السوريون اسمها كيف ستكون مقبلة على مجاعة بهذا الحجم .

يتحدث الأهالي أن هناك أزمة اقتصادية كبيرة ستلحق بالمحافظة تتعلق بغياب القدرة الشرائية بشكل كامل، إذ لا يكفي راتب الموظف الواحد لشراء ١٠ كيلو من البطاطا والبندورة بأفضل الأحوال .

ولكن كيف بدأت ظروف الحصار بالظهور، ووفقاً لمصادر خاصة صرّحت لكلنا سوريون أنه تم إغلاق معبر سيمالكا النهري الذي يربط شمال العراق (إقليم كردستان) منذ شهر أذار الماضي والذي كان يدخل عبره منتجات غذائية ومواد معلبة إضافة لمادة السكر شبه الغائبة عن المدينة. .

يحدثني رجلٌ يعمل مزارعاً عندما سألته عن بداية هذا الحصار والأسباب التي أدّت إليه «كثرت القصص يا بني يقولون أن تركيا وشمال العراق أغلقوا الحدود، وما ضل ما عادت تصلنا الخضروات والمواد الغذائية، ومرة يقولون داعش أغلقت مسكرة طريق الجنوب الذي يؤدي إلى الشام، والمطار هو للتجار وليس لنا»، ويتابع: «بس والله يا بني معبر شمال العراق (سيمالكا) لم يكن يأتينا منه خضروات، بل مواد معلبة وسكر وبضاعة تركية من كردستان، وتركيا من زمان مسكرة حدودها، وداعش من سنتين قاعدة على قلوب البشر ومع ذلك ما صارت مجاعة مثل اليوم»

بالفعل أغلب الأهالي يتحدثون عن أن حتى القامشلي وعامودا والدرباسية ورأس العين تقوم بزراعة الخضار بشكل كبير، إضافة للزراعة ضمن البيوت البلاستيكية، ومع ذلك تعاني ذات الظروف من النقص الحاد بالمواد الغذائية والمنتوجات الزراعية، إذ يتحدث معظم المزارعين عن نقص حاد بالأسمدة والبذار والمواد الزراعية، بل وحتى قطع الغيار الخاصة بالمعدات الزراعية والحصادات، مما أعاق عملية الزراعة بشكل كبير، إضافة لأسعار الصرف غير المستقرة، الأمر الذي سبب خسائر جمة للتجار الذين يقومون باستيراد هذه المواد.

أما عن أسباب هذا الحصار الذي بات يهدد حياة الآلاف من سكان الجزيرة بالموت جوعاً، فهو ليس بعيداً عن صراع النفوذ والسيطرة المعتاد بين أمراء الحرب في المنطقة، إذ أن الادارة الذاتية تتهم حكومة شمال العراق والبرزاني بالضغط عليها لكي تقوم ببذل تنازلات سياسية في المناطق التي تسيطر عليها وباتجاه يسير لإدخال عناصر من البيشمركة الى المنطقة، إضافة لاتهامات من قبلها أيضاً أن البرزاني ينفذ تعليمات الحكومة التركية التي تخوض حرباً معها، بشكل يحد من نشاط قواتها في سوريا ويضغط عليها باتجاه تسوية مرفوضة مع الشق الكردي البرزاني.

لا تخلو تصريحات الإدارة الذاتية من بعض المعلومات الحقيقية، إذ وفقاً للمعلومات التي حصلت عليها كلنا سوريون من ناشطين هناك أنه تم إغلاق معبر سيمالكا من قبل حكومة إقليم كردستان من دون أدنى تفسير، حتى أن الحالات الخاصة من إصابات حرب وحالات إسعافية لم يعد بمقدورها الذهاب عبر معبر سيمالكا كما في السابق، الأمر الذي استدعى أيضاً منع التجار من قبل الوحدات الكردية من تصدير المواد إلى شمال العراق، حيث أن التجار السوريين يقومون ببيع القمح للشمال إضافة إلى منتجات أخرى، وكان لإغلاق الحدود بشكل كلي من قبل الجانب التركي، وسيطرة الوحدات الكردية على معبر نصيبين الأمر الذي أعاق دخول المساعدات الإنسانية من قبل الأمم المتحدة، التي رفضت الاتفاق مع الإدارة الذاتية وأنه يجب التوصل لاتفاق يضمن وصول المساعدات للمنطقة قد يقتضي بتسليم المعبر لحكومة النظام السوري، إذ ان تركيا تمارس ضغوطاً أمام عدم تسليم الإدارة الذاتية أي دعم من هذا النوع وترفض الاعتراف بإدارة المعبر من قبل الوحدات الكردية.

إضافة لكل هذا يتحدث الأهالي عن أن المحاصيل الزراعية التي صودرت جنوب الحسكة من قبل وحدات حماية الشعب يتم أخذها لدعم المقاتلين عموماً، وأن الإدارة الذاتية تقوم بشراء المنتوجات الزراعية بأسعار عالية وبكميات كبيرة من قبل المزارعين لصالح دعم قواتها ومؤسساتها، مما ساهم أيضاً بانخفاض العرض في السوق وارتفاع الأسعار، ولكن كل هذه الأسباب يبدو أنها قابلة للتحكّم وليست ضمن درجات تحول دون الحل بالمقارنة مع المدن السورية التي تعاني من الحصار كدير الزور ومضايا، إذ لا مجال لأي حلول متاحة هناك.

لكن هل تكون هذه الحلول قريبة أم ستبقى رهينة حتى تكون هناك صفقة سياسية بين الأطراف المتصارعة، عوالم الحصار والمجاعة المقبلة التي باتت واضحة تشير إلى واقع قد يكون أسوء وبفترة قريبة، إذ أن جميع الأطراف لا يبدو أنها مقبلة على تسوية بالفترة الحالية، سوى أن هناك ضغط من أهالي المدينة باتجاه حكومة كردستان وجهود من بعض الأحزاب الكردية لتقوم بفتح معبر سيمالكا الذي قد يساهم ولو بأثر محدود أمام التقليل من خطر المجاعة القادمة، وإتاحة التبادل التجاري الذي قد يسمح بإنعاش السوق وخفض الأسعار.

كل هذا قد يبدو مستحيلاً بالفترة الحالية، خاصة إذا ما كان هناك بالفعل اتفاق بين الحكومة التركية وحكومة أربيل باتجاه حصار المناطق التي تسيطر عليها الوحدات الكردية، بنحو يدفعها إلى تسوية الأمر، وتبعاً لما يحصل في جنوب تركيا في الحرب بين الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني فالأمر غير مبشر على الإطلاق من دون وجود طرف قد يساهم في تخفيض الاحتقان الموجود في الشمال السوري ويشكّل وسيطاً لمبادرة قد تُرضي جميع الأطراف أو ستشتعل حرباً بوسائل أخرى.

محمد الشبلي

البعد الصحّي واحتياجاته (تقارير وإحصائيّات)

نشر مركز عمران للدراسات الاستراتيجيّة*، في الأسبوع الأوّل من شهر أيّار الحاليّ مقالاً، بعنوان: الأمن الصحّيّ في سورية: تدهور ينذر بالانهيار؛ للباحث محمّد العبد الله، ركّز فيه على الجانب الصحّيّ من الحالة السوريّ من خلال التقارير والاحصائيّات الصادرة بهذا الشأنّ.**

استهلّ الباحث مقاله بالتنبيه إلى أنّ الكثير من الجهات المتابعة للشأن السوريّ تولي جلّ اهتمامها للبعد الأمنيّ والسياسي، وأنّ القليل منها يولي اهتماماً موازياً للأبعاد الإنسانيّة كالبعد الصحّيّ، إذ تؤشّر الكثير من التقارير إلى تردّي القطاع الصحّيّ في ظل التدهور المتواصل للمرافق الصحّيّة والنقص الكبير الذي تعاني منه على صعيد الكوادر الاختصاصيّة والنقص الحادّ في الأدوية مع بلوغ الثورة السوريّة عامها السادس.

ويستند المقال إلى آخر الإحصائيّات، التي تقدّر عدد من هم بحاجة إلى الخدمات في القطاع الصحّيّ في سورية لعام ٢٠١٦ بنحو ١١مليون ونصف المليون إنساناً، ويبلغ عدد النساء والأطفال منهم ٨ مليون، بينما يقدّر حجم الدعم المطلوب لهذا القطاع بـ ٤٣٧,٢١ مليون دولار.

كما أورد المقال إعلان منظّمة الصحّة العالميّة ونداءاتها التحذيريّة المتكرّرة حول الوضع الصحّيّ في سورية على لسان مسؤوليها في عام ٢٠١٦ وقلقها الكبير جراء الوضع الصحّي المتدهور في هذا البلد ومن التداعيات السلبيّة على القطاع الصحّيّ، والتي أخذت تؤثّر سلباً على جميع برامج الصحّة ومدى القدرة على الوصول إلى شرائح واسعة من المجتمع لتقديم الخدمات الصحّيّة الأساسيّة، بعد أن بلغ عدد من هم بحاجة إلى الخدمات في القطاع الصحّيّ من النساء والأطفال ثمانية ملايين، وتأكيد المنظّمة كذلك على أنّها بلغت نقطة تخشى فيها من عدم قدرتها على تقديم هذه الخدمات بسبب شحّ التمويل وانتشار الأمراض.

اعتمد محمّد العبدالله على المعطيات الصحّيّة المشيرة إلى دمار أكثر من ٦٠٪ من المشافي وخروج أكثر من نصف المراكز الطبّيّة عن العمل، بينما تأثّر أكثر من ٧٠٪ من مصانع الأدوية بهذا الصراع، وانخفض الإنتاج المحلّيّ للأدوية بنسبة تقل عن ٣٠٪، ممّا تسبّب بانتشار الأدوية المزوّرة والمهرّبة بشكل كبير، إلى جانب انخفاض عدد العاملين في المجال الصحّيّ إلى نحو ٤٥٪، ويذكّر المقال بالتقارير الصادرة عن المنظّمات الأهليّة والدوليّة، كمنظّمة أطبّاء بلا حدود والشبكة السوريّة لحقوق الإنسان وغيرها، من الجهات الأخرى العاملة على الأرض، والتي تؤشّر إلى تردّي الأمن الصحّي بشكل كبير في ظلّ التدهور المتواصل للمرافق الصحّيّة.

يسلّط مقال مركز عمران الضوء على الواقع الصحّيّ في المناطق السوريّة المحرّرة، لأهمّيّة ذلك في تلمّس حجم المعاناة التي يكابدها السكّان في ظلّ غياب الخدمات الصحيّة والأدوية والرعاية الطبّيّة، فيقول: مع انطلاق الثورة السوريّة تركّز القمع الأمنيّ للنظام السوريّ في أحد جوانبه على قطاع الصحّة، عندما لجأ إلى استخدامها كسلاح في وجه المعارضين له في جميع المناطق الثائرة، عبر الاستهداف المنظّم من قبل قوّات النظام وحلفائه للمراكز الطبّيّة والمشافي الميدانيّة باستخدام الطائرات الحربيّة والمدفعيّة والسيّارات المفخّخة، مخلّفة أضراراً كبيرة في غرف الأطبّاء والمرضى ومحتوياتها من الأجهزة الطبّيّة والأثاث واحتراق سيّارات الإسعاف بهدف وقف تقديم خدماتها للجرحى والمرضى، ممّا دفع القائمين على الشأن الصحّي في هذه المناطق إلى إقامة مشافي تحت الأرض لحمايتها من الاستهداف، إلى جانب التكتّم على أماكن وجودها، ولجوئها في كثير من الأحيان إلى استخدام المدارس والمساجد كمراكز طبّيّة لتقديم الخدمات الصحّيّة. وأضاف المقال: أنّ ما زاد من معاناة هذه المشافي النقص الكبير الذي تعاني منه على صعيد الكوادر الاختصاصيّة، بعد قيام النظام بقتل واعتقال العديد منهم بسبب نشاطهم في هذه المشافي، ممّا قلّص من قدرتها على تحمّل عبء تقديم الخدمات الصحّيّة إلى حدّ كبير، وليقتصر عمل الكثير منها على تقديم الإسعافات الأوّليّة!

يستنتج الباحث العبد الله من ذلك أسباب ازدياد معاناة المواطنين بشكل حادّ مع انتشار العديد من الأمراض الوبائيّة والمُعدية، وتفاقم حالة الأمراض المزمنة لدى الأفراد، لقلّة توفّر الأدوية واللقاحات الضرورية وانعدام الخدمات الصحّيّة في كثير من هذه المناطق، فهناك أجزاء واسعة من سورية معزولة تماماً عن أيّ شكل من أشكال المساعدة الطبّيّة، بعد أن أصبح تسليم تلك المواد مقيَّدا بسبب استهداف خطوط المواصلات النظاميّة وغير النظاميّة، ولم يعد النظام الصحّيّ ملبِّيا للخدمات المناطة به، فقد اعتمد على المساعدات الإقليميّة والدوليّة والجمعيّات الأهليّة المتباينة في اهتماماتها وخبراتها، وما يعنيه ذلك من تضارب في الأجندات والخوف من عدم ثبات واستمرار الخدمات الصحّيّة في المستقبل.

ويلخّص المقال أسباب تفاقم الوضع الصحّيّ سوءاً، بتراجع الدعم المقدّم من المانحين الدوليّين، ممّا انعكس على قدرة المنظّمات الدوليّة الإغاثيّة والطبّيّة على تأمين الأدوية والإمدادات الصحّيّة الكافية، وفي مدى قدرتها على مواصلة عملها في

سورية في ظلّ الأزمة الحاليّة المتفاقمة، وفي ظلّ الاحتياجات الصحّيّة والدوائيّة المتزايدة نتيجة الاستمرار في تدمير البنية التحتيّة للمرافق الصحّيّة وفقدانها كلّ مقوّماتها، وانهيار طرق الإمداد الطبّيّ، وازدياد معاناة العاملين فيها نتيجة تحدّيات وأخطار عدّة تمنعهم من أداء مهامّهم على النحو المطلوب.

ونبّه المقال إلى أنّ التراجع الحادّ في الحصول على الرعاية الصحّيّة والأدوية أمر بالغ الأهمّيّة؛ نظراً لما سيشكّله من آثار عميقة وبالغة الخطورة على مستقبل السكّان، كما أنّ غياب الاستراتيجيّات الصحّيّة والخطط الضروريّة لمواجهة تداعيات الأزمة الناجمة عن استطالة الصراع سيفاقم في المستقبل من تردّي الوضع الصحّيّ وسيزيد من عبء المشكلات التي ستواجه السكّان في المرحلة القادمة.

كما حذّر الباحث من تبعات تواصل الصراع واستمرار تدهور الوضع الصحّيّ في سورية يوما بعد يوم، إذ يتزايد عدد من يفقدون أرواحهم كل يوم، ليس بسبب العنف فحسب، وإنّما يصبح الناس هناك ضحايا لنظام صحّيّ واهن ومهترئ لم يعد قادراً على تزويدهم باحتياجاتهم من الخدمات الصحّيّة كي يبقوا على قيد الحياة، ممّا يجعل حياة الآلاف منهم في دائرة الخطر .

وطالب الباحث عبر مقاله أجهزة الأمم المتّحدة وخصوصاً المفوضيّة الساميّة لحقوق اللاجئين ومنظمة الصحّة العالميّة بحثّ الجهات المانحة الدوليّة على الوفاء بالتزاماتها والعمل على سدّ الثغرات التمويليّة التي يعانيها القطاع الصحّيّ، وتطوير وتنفيذ بروتوكولات وسياسات من شأنها توفير تغطية صحّيّة لسكّان هذه المناطق بالتعاون مع وزارة الصحّة في الحكومة السوريّة المؤقّتة والمجالس المحلّيّة في المناطق المحرّرة، والتركيز على تجهيز المشافي الميدانيّة المتطوّرة لسدّ الاحتياجات اللازمة من الأدوية المنقذة للحياة والأدوية الأساسيّة والخدمات الصحّيّة.

ورأى مقال الباحث محمّد العبدالله في مركز عمران، أنّ ذلك سيساعد على تخفيف المعاناة وإنقاذ حياة العديد من الأرواح أو تخفيف النتائج بعيدة المدى للإصابات، وأنّه لا بدّ من العمل كذلك على وضع برامج وأساليب جديدة وزيادة حملات التوعية للحدّ من انتقال الأمراض المعدية والوبائيّة في المناطق المحرّرة والمحاصرة، كمطلب ضروريّ.

إعداد هيئة التحرير

* تأسّس «مركز عمران للدراسات الاستراتيجيّة» في تشرين الثاني ٢٠١٣ كمؤسّسة بحثيّة، تسعى لأن تكون مرجعاً ورافداً لصنّاع القرار في سورية والمنطقة، في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة. الموقع الإلكترونيّ للمركز: www.OmranDirasat.org

**باحث رئيسيّ في المركز، ماجستير دراسات عليا في الاقتصاد، يتركّز عمله على إعداد الدراسات والتقارير في مجال الاقتصاد والتنمية في الشأن السوريّ المحلّيّ، إلى جانب اهتمامه بالأوضاع الإنسانيّة للنازحين في الداخل واللاجئين في دول الجوار.

الرقص على أعتاب القدر

ليستْ كـالأوتـارِ التي نعزفها في حياتنا المعتادة، هي صرخةٌ كُبتت في غصونِ حياة قد تعيشها الفتيات تحت ظلّ المجتمعِ الشّرقيّ، الذي يميّز الذكر عنها ويعطيه بطاقاتِ خضراء للسماحِ له بالعيشِ وفق الطريقة التي تناسبه، في حينِ يطلقُ صفارةَ إنذاره ويرفعُ لها البطاقةِ الحمراء في حالِ تجرّأت على المطالبة بحياتها!

لا أتكلّم عن أحدٍ غريب هنا، إنّها فئات كثيرةٌ من مجتمعنا الذين لا يمكننا نُكرانُ أو تناسي شرقيّتهم الموروثة، هم أولئك الذين يربطونَ براءة الفتاة وطهارة غِشائها، بحسبِ قطعة قماش قد تضعها على رأسها.

لماذا يحدّقون بالفتاةِ التي لا تضع حجاباً؟ بل وتُوجه إليها نظرات استحقار، وقلّة احترام، أأحترامُ الناس والمجتمعِ يُكتسب بتلك الطريقة؟ «بالحجاب»!.. سحقاً كم هذا الأمر مُخجلاً ويُرمي بثقافةِ المجتمعِ، لمجرّد أنّه يعتقد بالمظاهر والقشور فقط!

من مفارقاتِ ومتضاداتِ الواقع، أنّه إذا رأيتَ فتاة سافرة الرأس، تبدأ سيولُ النصح والإرشادِ، والمضايقاتِ أحياناً، ثم ما تلبثُ أنَ تصمت الأفواه، وعندما تقرّر تلك الفتاةُ أن ترتدي الحجاب، فسُرعان ما تُرفع لها القبعات ويُنظرُ لها بالقداسةِ والاحترام، بالرغم من أنّ نسبةً ممّن قرّرن ارتداء الحجاب - وقد تكون ليست بالقليلة - سيّئات الخُلق، وتَشغلن أنفسهنّ بالنميمةِ على هذا وذاك. بينما لو وجدتَ فتاة محجّبةٍ وأرادتْ نزع الحجاب لأسبابٍ تراها مُقنعةً وكافية لاتّخاذ هكذا قرار، بأنّها لا تعتبر الحجاب ككقطعةٍ منها، أو أن أصل غايتها في ارتدائه هو إرضاءُ الناسِ وليس ربّهم، فعندما نظرت إلى نفسها بالمرآة بدأت باكتشاف نفسها وما تريده من تلك الحياة، قرّرت حينها أن تخلع ذلك الحجاب!.. لتأتيَ صفعةُ القدر التي لن تجنيَ الفتاة من ذأثرها سوى الإهانات التي ستُوجه إليها، عداكَ عن نعْتها بصفات قد تصل إلى «عديمة الشرف» أو بأنّها لا تبالي بمجتمعها ولا تبادله الاحترام الذي يوهمها إيّاه..

ما ينقصنا في حياتنا الكثير، كان أهمّه أن نحترم بعضنا ونحترم ما يسمّى بالحرّيّة الشخصيّة، يبدو أنّنا طالبنا بالحرّيّة قبلَ أن ندري بأنّنا غير قادرين على أن نعطيها لأنفسنا أوّلا، فلا يحقّ لشخص مهما كانت رتبته أن يفرض على حياة شخص آخر أن يقوم بعملٍ ويترك آخر، سيعتقد الكثيرون أنّ الحرّيّة هي حرّيّة اللباس والفساد، ولكنه معنى يتجلّى في كلمتين مختصرتين.. «حرّيّة الفكر».

«سـارة» إحـدى الفتيات الـلـواتِ رفضنَ شكلَ حياتهنّ المُسيَّر على سكّة تقاليد المجتمع السطحيّة، قد لا تكونَ سارة هي الفتاة الأولى التي سعتْ لاتّخاذ هكذا قرارٍ في حياتها، لكنّها كانت أيضاً من اللواتِ فتحنَ قلوبهنّ ليروينَ الحكاية.. من البداية..

«وضعتُ الحجاب مرغمة، دون قناعة به، وحاولت مراراً وتكراراً أن أتقبّله وسط ذلك المجتمع الذي ظننت كلمةَ السرِّ فيه هي ارتداء الحجاب لتفادي الوقوع في المحظور، ومن حينها أشعر بالنفور منَ تلك القماشة، وأبحث عن فرصة لتساعدني على خلعها، أنا لا أنكر الدين الإسلاميّ، وأكنّ له جزيلَ الاحترام، لكنّني أيضاً لا أقيّم علاقة الشخص بربه أو إيمانه بوجودهِ، عبر طريق تلك الأساليب التي يحتمي البعض بها كالستار. رغم رفضي القاطع للحجاب إلّا أنّني لم أستطع خلعه حين كنت داخل سورية، كنت سأعيشُ مكبّلة الأيدي عاجزة عن مواجهة مجتمعٍ يحمل جملتين يريد تطبيقها على القطيع كافة دون مقاومة، ورغم تعرّضي للكثير من الكلمات المزعجة والانتقادات المُفرطة، إلّا أنّها مدّتني بالقوّة والإصـرار، وزادتني قناعةً بضرورة فعلِ ما كنت أنوي عليه منذ زمن، فهذه الحياة لن تتكرّر مرّتين، ولن أعيشها سوى مرّة واحدة، وأنا فتاةٌ تريد أن تحياها كما هي تحبّ. لا كما يفرضها غيري!.. بقيتُ على ذات المنوالِ وذاتِ اللهفة التي تسكن داخلي بانتظار تحقيق هدفي.. إلى أن حانت لحظة عبوري خارج حدود المجتمع، لأعلن رفضي عمل أيّ شيء غير مقتنعة به، عندها فقط أيقنتُ بأنْه آن الأوان لخلعي للحجاب».

وقالوا شِرعَةُ الإسلامِ تقضي .. بتفضيلِ «الذينَ على اللّواتي»

لقدْ كذَبُوا عَلى الإسلام كَذبَاً .. تـزولُ الشـمُّ منـهُ زَلـزَلات

ونحـتقرُ الحـلائِـلَ لا لِجُـرمٍ .. فنـؤذِيـهُـنَّ أنـــواع الأذاةِ

ونُلْزِمُهُنَّ قعرَ البيـتِ قَـهـراً .. ونَـحسِـبُهُنَّ فيـهِ مِنَ الهَنـات

لَئِنْ وَأَدُوا البنـاتَ فَقَـدْ قَـبَـرْنَا .. جميعَ نِسَـائِنَا قَبْلَ المَمَـات

حَجَبْنَاهُنَّ عنْ طلبِ المَعالِي .. فَعشـنَ بِجَهلِهِـنَّ مُـهْتَلِكَـاتِ

ولَو عَدمْتَ طِبَاعَ القومِ لُؤْمَاً .. لَما غَـدَتِ النِسَـاءُ مُحَجَّبَـات

وتَهذِيبُ الرِجالِ أَجَلَّ شَـرطٍ .. لِجَعلِ نِسـائَهُـنّ مُـحَـجَّبَـــاتِ

ومَا ضرّ العَفيفة كشْفُ وجهٍ .. بَدا بيـنَ الأعفـــاءِ الأبَـــاة

لم تكُن تلكَ الأبياتُ لأحد شعراء الثورة أو منتقدي التنظيمات المتشدّدة، أو حتّى لغربيٍّ مُلحدٍ يهاجم الإسلام من بابِ عقيدتِه، وإنّما هي أبياتٌ للشاعر العراقي «معروف الرصافي «١٨٧٥ – ١٩٤٥ م» الذي لم ترَ عيناه ما يحدثُ الآن في بلدان العربانِ التي عاشَ فيها في ظِلّ الاحتلال الأجنبيّ الذي توارثهُ العربُ جيلاً بعد جيل، أي أنّ حرّيَّة المرأةِ حينها قد لا تتوازى مع مستوى القمع الحالي الذي تعيشه إناثُ القرنِ الحادي والعشرين.

في سورية، البلد المجاور لمسقط رأس الشاعر المذكور، لا تختلف الصورة كثيراً عمّا قرأناه في الأبياتِ السابقة، وإنما تعيشُ المرأةُ حياةً أشبه بتلك التي قد تعيشها حيَّة وئدت

تحت التراب، وإنّما بقالبٍ ديني «داعشيّ»، أو حتى تقليديّ مجتمعيّ؛ تلكَ هي السياسة التي يتّبعها تنظّيم الدولة المتطرّف أو بعض الفصائل الإسلاميّة المتشدّدة اتّجاه قضيّة الحجاب واللباس الشرعيّ، والتي كانت أحد أهمّ الأسباب التي تدعو بعض الفتيات للنفور من الحجاب، فالضغط يولّد الانفجار «علمياً»، والحرمان يولّد الرغبة في العصيان «عمليًّا»، وأنّ سياسة الغصب والإجبار لن تزرع إلّا الكبتَ والكتمان والغُلوّ، إلى أن يأتيَ الوقت لتفريغ وإخراج كلّ ما ذكر من داخل داخلنا، وحينها ستنطلق ردّة الفعل العكسيّة لكلّ ما فُرض سابقاً.

«وجـدان» فتاة تـدرس في جامعة حلب وتقطن في الطبْقة، غرب محافظة الرقّة، وهي من عائلة بسيطة، لكنّها مثقّفة وتحترم الفتاة وتعطيها حقّها كحقّ الذكر دون تمييز، تخبرنا وجدان عن رحلتها فتقول:

«عندما كنت في الطبْقة، كنت أذهب وأخرج كما أريد، وبعلم من أهلي، كنت أرتدي بنطالاً وقميصاً كتلك الفتيات، و لكن عند سيطرة «داعـش» على المنطقة تعرضْت لموقفٍ لن أنساهُ طيلةَ حياتي، فبينما كنتُ عائدةً من السوق متّجهة نحو المنزلِ، مرتديةً عبائتي السوداء والنقاب، وإذ بأحد العناصر يضع يده على كتفي ويقودني نحو سيّارة الحسبة (الجهاز الأمني التابع لداعش) بحجّة أنّ لباسي غير شرعيّ! لم أستطع المقاومة، لأنّه كان من أهل المنطقة ومقنّع، وبعد وصولي إلى مقرّ الحسبة، فوجئت بعدد اللواتي ينتظرنَ «الأمير» المكلّف بإصدار الأحكام والعقوبات بحقّ كلّ منهنّ، حسب جرم كلّ فتاة؛ انتظرت معهنّ بصمت، إلى أن جاء الأمير المزعوم، كانت عقوبتي غرامة ماليّة قدُرها ٥ آلاف ليرة سوريّة، بالإضافة إلى إجباري على شراء عباءةٍ شرعيّة «مطابقةٍ لقوانينهم» ناهيك عن ثلاثينَ جلدةٍ عوقبتُ بها قبيل الإفراج عني!. خرجت من حينها وأنا مذهولة، أهذا هو الإسلام؟ وهل من حقّ أيّ أحد أن يأتي ليفرض لباساً معيَّنا وعلينا الالتزام به، كرهت كلّ شيء يرتبط باللباس والإسلام ومايفرضه هـؤلاء المنافقون، أصبحت لا أخـرج من المنزل لكي أتجنّب ارتداء تلك العباءة المليئة بالسواد النفسيّ، لأبقى على هذا الحال حتّى وصولي إلى مدينة حلب، عندها اتّخذت القرار بخلع الحجاب وأنا على يقين بأنّني لا أريده بل وأكرَهه».

يتلاعبون بحياة الناس ويأخذون قرارات مصيريّة، وكأنّهم سيكلفون بالحسابِ يوم القيامةِ عنهم، ولا يدرون بأنّ سنّة الحياة قد تغيّرت عن ما هو عليه قبل ١٤٠٠ عام، وأن العمل أو المُعتقدْ وحدهُ من سيهديكَ إلى الحبّ والعيشِ بالراحة النفسيّة والطمئنينةِ المَرجوّة.

«أحبّي ما تقومين به وعيشيه بحبّ، أو لا تفعليه إطلاقاً، فحياتكِ مرتبطة بقدركِ المكتوب، فأرقصي على أعتاب القدر كما تشائين».

جوري الشام

ظاهرة تسوّل الأطفال في الداخل السوريّ ...
خصوصاً في المناطق التابعة لسيطرة النظام

ظاهرة التسوّل في سورية ليست جديدة، لكنّها تفاقمت بعد اندلاع الثورة السوريّة وتغوّل النظام في حلّه العسكريّ، ممّا خلق جيلاً كاملاً من الأطفال الأيتام والمعاقين، الذين لم يجدوا وسيلة لعيشهم سوى التسوّل.

يعود منشأ هذه الظاهرة للوضع المعيشيّ والاقتصاديّ لأفراد الأسـرة والسبب الأهمّ هو الوعي الثقافيّ والمستوى التعليميّ الذي يكون شبه معدوم في الأسرة، ممّا ينتج عنه أن تتوارث أفراد هذه الصفات وتنقلها للأبناء بدورها. أي أنّ هناك جوانب مختلفة للتسوّل منها الحالة الاجتماعيّة للأسرة وطبيعة المهنة الأسريّة التي لها علاقة بالتشتّت الأسري، إضافة إلى أنّ المكان الذي تعيش فيه الأسرة له الـدور الأكبر في انتشارها، فضلاً عن الجوانب النفسيّة عند المتسوّل ذاته سواء في ظلّ الأحـداث الجارية في سورية. وأحياناً يكون العامل النفسيّ أنّه لا يملك دافعاً للعمل والإنجاز.

لقد أصبح التسوّل ظاهرة اجتماعية منظّمة ولها تشابكاتها، فالتشريعات السوريّة المتعلّقة بالتسوّل إجراءات بسيطة لا تتناسب مع وجود تسوّل منظم.

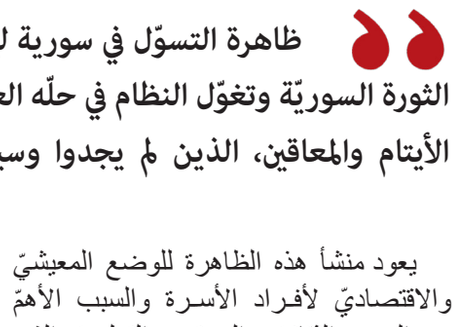

وزارة الشؤون الاجتماعيّة والعمل هي الجهة المعنيّة من مؤسّسات النظام بهذا الشأن، كانت تقوم بإجراءات تتمثّل بإيواء المتسوّلين والمتشرّدين الذين يتمّ توقيفهم من قبل دوريّات مكافحة التسوّل في دور مخصّصة لهم وتقدّم لهم الخدمات النفسيّة والاجتماعيّة والتربويّة والصحيّة طيلة فترة توقيفهم. وهي المعنيّة بمكافحة هذه الظواهر بإدراج قوانين وعقوبات ملزمة تحدّ من التسوّل بأشكاله كافّة، وتطبيقها لردع كلّ من يسوّق لها ونشر الوعي وثقافة التعليم عند الأسرة بدءاً من برامج محو الأمّيّة للكبار حتّى أصغر فرد في الأسرة عن طريق المدارس والمعاهد ودور السينما والمسرح والتلفزيون ...إلخ

التسوّل لا يقتصر على الأطفـال فقط، بل يشمل النساء والشيوخ، وأيضاً الشباب المصابين بإعاقة ما؛ لأنّها بالفعل أصبحت مهنة، ويتمّ الترويج لها بشكل كبير، خصيصاً بعد اندلاع الثورة والدمار الهائل الذي أحدثته الآلـة العسكريّة، وكانت سبباً في تشريد الملايين من منازلهم وأراضيهم والنزوح إلى أماكن أكثر أماناً حتّى لو كانت ظروف المكان الجديد والمسكن لا تحتوي على أدنى مقوّمات العيش فيه ممّا خلق بيئة مناسبة وطريقة سهلة لكسب العيش عند البعض، بينما استغلّ آخـرون ظـرف الحرب والوضع الإنسانيّ المتدهور لمعظم الشعب السوريّ في الداخل وقام بتطوير هذا العمل الذي كان يمتهنه في السابق.

هناك ظاهرة أخرى، فقد لوحظ أنّ بعض العائلات تقوم بتأجير أطفالها المشوّهين والمعاقين مقابل مبالغ ماليّة تصل لحدود ٣٠٠٠ ليرة يوميًّا ويرتفع المبلغ حسب نسبة الإعاقة أو التشوّه لدى الطفل المستأجَر .

أسباب هذه الظاهرة تعود إلى تفكّك علاقات الترابط والقرابة بين العائلة الواحدة وظروف النزوح وقلّة التكافل الاجتماعيّ، الأمر الذي يجعل الفرد يقع أمام مسؤوليّة احتياجاته لأنّه غير قادر على تأمينها بنفسه، وهذا عامل آخر لانتشارها .

أصبحت مناطق النظام التي تؤوي أعداداً كبيرة من النازحين تضمّ أكبر نسبة من المتسوّلين والمشرّدين الذين يعملون في جمع النفايات والتسوّل، حيث لا يكاد يخلو شارع أو ساحة أو سوق أو حاجز من الأطفال والنساء وذوي الإعاقات الذين يمتهنون التسوّل، والقلّة منهم تتسوّل عن طريق بيع العلك أو البسكويت.

وتـرى أطفالاً منهم لا تتجاوز أعمارهم السادسة مدخّنين ويتعاطون الحشيش على مـرأى من الجميع. وحين نـودّ أن نمنعهم ونوعيهم بـأضـراره ومساوئه على بنيتهم كأطفال، يكون الردّ بالشتائم والكلام البذيء من باب أنّهم يعلمون ما يفعلون وليسوا صغاراً ... وما من حسيب ولا رقيب يمنعهم أو حتّى يمنع بائعي السجائر من بيعهم، مع العلم بوجود قانون يمنع بيع السجائر للقاصرين!

حدّثتني اختصاصيّة في رعاية الأطفال ودعمهم، كانت تشرف على برنامج لتطوير مهارات الأطفال في إحـدى دور الرعاية التابعة لمؤسّسات الدولة ولفترة وجيزة: "كانت الدار ممتلئة بالفتيات ويعاملن كخادمات داخل الدار عدا عن سوء المأكل والمعاملة والضرب والإهانة. وكان المسؤولون عن هذه الدار يقومون بتشغيل الفتيات القصر في المقاصف والملاهي الليليّة وبيوت الدعارة ويتقاضون أجـوراً طائلة من تشغيلهنّ. تأتي سيارات لأخذهنّ في منتصف الليل بعدما يتمّ تجهيزهنّ لهكذا عمل ويعيدونهنّ في الصباح، ومن ترفض منهن تُعاقب أشدّ العقاب وتُحرم من الفتات الذي يقدّم لها".

في غياب القانون والرقيب والحساب لا شيء يعلو على صوت المال والفساد والمنفعة، هذا هو القانون السائد وما زال يتطوّر، فالفقر ليس عاملاً للتسوّل فالكثير من الفقراء لا يتسوّلون بل يعملون لتأمين قوتهم ولو بالقليل.

لـذلـك، وفـي هـذه الأوضـــاع يجب على مؤسّسات الدولة والمنظّمات العاملة على الأرض والجمعيّات الأهليّة أن تضاعف جهودها في الحدّ من هذه الظاهرة واحتوائها وتأمين آليّة عمل تدعمهم وتحدّ من عمالة الأطفال. وإشراك المجتمع المحلّيّ في نشر الوعي للحدّ من هذه الظاهرة، فالأمر إن استمرّ بهذا الشكل المتزايد يعدّ كارثيًّا لأنّ الفئة العمريّة تحت سنّ الـ ١٥ تشكّل نسبة ٤٠ بالمئة من عدد السكّان، كما جاء في التقرير الوطنيّ الثاني لمتابعة تنفيذ اتّفاقيّة حقوق الطفل في سوريا عام ٢٠٠٠، فكيف الوضع الآن بعد ١٦ عاماً من هذا التقرير وبعد ستّ سنوات على بدء الثورة في سورية وحالات النزوح والبطالة واليتم المتزايدة عند الفئات العمريّة كافّة، وبالأخصّ الأطفال منهم؟! فمستقبل الأطفال في سورية يتّجه نحو المجهول في ظلّ وجود هذه النسب الخطيرة.

إنّ الاكتفاء بـورش العمل والمؤتمرات وبرامج التعليم غير المستمرّ أو غير النظاميّ غالباً ما تتوجّه لأطفال يمتلك آباؤهم درجة من الوعي تحميهم من الوقوع في براثن التسوّل والعمالة المشردة، وتتجاهل أطفال الشرائح الدنيا والمعدمة في المجتمع السوريّ والذي يجب أن يكون التوجّه لهم أصلاً لحمايتهم وتنمية مواهبهم المدفونة تحت ضغط الحاجة وعدم وعي الأهل.

لا نعلم لمن نتوجّه ونسأل ... إلى المنظّمات التى ما زالت تتشدّق بحقوق الطفل والطفولة، أم إلى القوانين الدوليّة الغائبة إلّا عن الأوراق المصدّق عليها دوليًّا كنوع من الوقار لكلّ دولة صدقت عليها دون تطبيق الحدّ الأدنى منها؟

ألا يُعتبر تسوّل الأطفال وعمالتهم نوعاً من أنواع الإتجار بالبشر؟

أليسوا هم جيل المستقبل؟

شام المصري

الإسلام ومنظومة المعرفة

كان الشعر والثقافة والجدال والنقاش ومقارعة الحجّة بالحجّة، أساس البيئة العربيّة قبل الإسلام. ولقد وثّق القرآن جدال القرشيّين «الخصوم الفكريّين» للدعوة، شاغلة مساحة واسعة من السوَر المكّيّة

ما يدعو للاستغراب بعد كلّ ما جرى في الواقع السوريّ، تلك الحالة الاجتماعيّة والثقافيّة التي تحاول جاهدة الدفاع عن جزءٍ أصيل من العقليّة التي ساهمت بتدمير الإنسان السوريّ، ومحاولة تقديم معادلات متّزنة لخلق ما يُسمّى بالوسطيّة المعرفيّة، والتي تتجسّد تحت شعار «أنّ السلوك المُمارس لدى بعض الجهات ذات التوجّه الدينيّ، هي فئات لا تمتّ لحقيقة الدين بصلة، وأنّ الوعي الديني منها براء».

فكثيراً ما نسمع شخصاً يقول: إنّ من يمثّلون الدين هم أبعد بكثير عن حقيقة الدين الحنيف. وبالطبع يعود ذلك لجهل مستشري بالتاريخ الذي نشأت عليه فكرة الدين الإسلاميّ.

يُفسِّر الوعي الثقافيّ الشرقيّ جوهر النظرية الإسلاميّة، كجوهر روحانيّ سلميّ، محاولاً إظهار فكرة الإسلام كرؤية حضاريّة غير دمويّة، رغم المعرفة العميقة بأنّ الإسلام هو دين حياتيّ، لم يتوقّف عند فكرة العبادة المباشرة مع الربّ، بل تعدّاها ليتدخّل بأدقّ التفاصيل اليوميّة، من طرق المعيشة والمأكل والمشرب والعلاقات البشريّة وحتّى الحرّيّة الشخصيّة بأبعادها كافّة بما في ذلك الجنس.

لكن رغم ذلك، يذهب ذلك الوعي إلى الدفاع أنّ الدين الإسلاميّ جاء كرسالة حضاريّة لتطوير الحياة، وأنّه جاء مُخلِّصا الإنسان «ما قبل الإسلام» من الجهل والتردّي والعبوديّة والذلّ، واصفاً المرحلة الجاهليّة بأنّها مرحلة استعباد للإنسان. ضمن ذلك التبرير خلق الإسلام لنفسه الهالة الحضاريّة التي مازالت مخادعة ومستمرّة حتّى يومنا هذا.

إنّ الحياة في الجزيرة العربيّة التي جاء منها الإسلام، لم تكن أبداً بيئة جاهلة وهمجيّة مثلما حاول مُنظّروا الإسلام وصفها، بل كانت بيئة ممتلئة بالمذاهب والأديان والثقافات التي تحترم خصوصيّات بعضها البعض. فالجزيرة لم تكن بمجملها بيئة وثنيّة، بل كانت تنتشر بصحرائها ديانات عميقة وقديمة كاليهوديّة التي كانت تمتلك مناطقها في المدينة، والنصرانيّة التي تمتلك أديرتها في نجران والحيرة، والمجوسيّة والصابئيّة والحنيفيّة، إضافة للعنصر الثقافيّ الأهمّ، وهم علماء وشعراء ومفكرو وملاحدة قريش وزنادقتها، أو ما يمكن تسميتهم بـ «ماديّو العصر الوثنيّ»، فلم يكن أحد من أولئك العقائديّين يعتدي على غيره، وكان الجميع يعيش بحالة من السلم والتماثل والوئام والمناظرات الثقافيّة التي تجسّدت بلغة الشعر، فكانت الحروب فيما بينهم حروباً تناظريّة وثقافيّة بحتة.

لقد كانت مكّة مثالاً للتنوّع والتعدّديّة في جزيرة العرب، فلم يشهد المجتمع العربيّ قبل الإسلام أيّ نوع من التناحر الدينيّ أو المذهبيّ، وخير مثال على ذلك، ما جاء عند البلاذري في كتابه أنساب الأشراف، عندما دعا الرسول محمّد عمّه أبو طالب للتوحيد وترك عبادة الأوثان، فجاء ردّ أبي طالب «أمّا دين أبائي، فإنّ نفسي غير مشايعة على تركه، وما كنتُ لأترك ما كان عليه دين عبد المطلب، ولكن انظرْ الذي بُعِثتَ به فأقم عليه». ذلك الكلام الذي تفوّه به أبو طالب، والمُتّفق عليه في السير الإسلاميّة، لا يُمكن فهمه سوى بطريقة واحدة أنّ جواب عمّ الرسول يدلّ على عمق ووعي بأنّ ثقافة الجزيرة لا تتدخّل بأيّة دعوة دينيّة أو ثقافيّة إن كانت مسالمة، فللجميع دياناته وعباداته الخاصّة، ولم تكن قريش غافلة عن المشهد الدينيّ الذي بدأ بالتشكّل، ولم يكن لديهم أيّة مشكلة معه في البداية كدعوة سلميّة تقوم على المناظرة، لقد رضوا به بشرط أن لا يسخر من عباداتهم وديناتهم، ودليل ذلك بـأنّ قريش كانت قد هضمت واستوعبت ديانات سماويّة كالنصرانيّة واليهوديّة، لكنّ محمّدًا وجماعته لم يكونوا يطمحون للتعدّديّة، بل كانوا يسعون لوجودهم وحدهم دون سواهم.

لقد كانت الديانات السماوية في أرض الصحراء تمارس حياتها وعقائدها دون أيّ اعتراض أو إيـذاء من قبل قريش الوثنيّة، إلّا الذين عابوا قريش بآلهتها واستخفّوا بها وبعقائدهم وأعرافهم، فقد أخرجتهم قريش من أرضها، فمكثوا على أطرافها.

لم يكن الإسلام بدعوته يقبل أيّ نوع من تعدّد الوعي والثقافة، بل جاء كصيغة ديكتاتوريّة لحسم وجوده وحده دون سواه.

لقد كان الشعر والثقافة والجدال والنقاش ومقارعة الحجّة بالحجّة، أساس البيئة العربيّة قبل الإسلام. ولقد وثّق القرآن جدال القرشيّين «الخصوم الفكريّين» للدعوة، شاغلة مساحة واسعة من السور المكيّة. فوصف القرآن أولئك الخصوم بأحاديثهم عن قصص الأنبياء التي وردت في التوراة والأناجيل، وأعاد القرآن سردها بـ «أساطير الأولين».

لقد كان القرشيّون يمتلكون عقلاً ثقافيًّا قائماً على احترام الآخر، وإطّلاع معرفيّ واسع على الديانات والميثولوجيا المتداولة في ثقافات الشعوب الأخرى، فلم تكن الجزيرة بيئة منعزلة عن العالم الخارجيّ مثلما جاء في الإسلام. فلم يكن الخصوم الفكريّون للدعوة، هم من يعبدون الأوثـان أو من يتعبّدون في الديانات الأخرى، بل كانوا علي وجه التحديد الطبقة الثقافيّة الثريّة والمتعلّمة في شبه الجزيرة، تلك الطبقة التي كانت قد تعرّفت إلى العالم الخارجي في بلاد الهند وفارس وتعلّمت الطبّ والكيمياء والموسيقى، أولئك الذين أطلق عليهم الشهرستاني اسم «مُعطلة العرب» أو «الدهريّون». أولئك الخصوم الذين كانوا العقبة الحقيقة بوجه الإسلام، وكان لابُدّ من إزاحتهم ليكون للإسلام ذلك الامتداد، فلم يكن أحد من مؤمني الدعوة يستطيع مجابهتهم على مستوى المعرفة والثقافة، فكثير منهم قُتِلوا أسرى في معركتي أحد وبدر. فمنهم داهية العرب أبو سفيان بن حرب، والذي أسلم لأنّه داهية الذكاء، وهو الوحيد الذي سَلِمَ من بطش أصحاب الدعوة، والطبيب النضر بن الحارث بن كلده الذي درس علوم الطبّ في بلاد فارس وهو أوّل من أدخل آلة العود إلى شبه الجزيرة، حيث كانت الجزيرة لا تعرف سوى موسيقى النصب، والوليد بن المغيرة المخزوميّ والد خالد بن الوليد. والعالم الديني ورقة بن نوفل. وهذه بعض الأسماء من كثير آخرين كانوا عقبة في وجه الإسلام الذي لم يكن قائماً أساساً سوى على الجهل والتخويف.

ومن بعض الأمثلة التي أوردها ابن هشام في سيرته النبويّة، أنّ عمرو بن هشام (أبا جهل) قال لقريش: هل تعلمون ما هي الزقوم التي يخوفكم بها محمّد في جهنم؟. قالوا: لا. قال: هي ما نفعله على الأرض، عندما نعجن عجوة يثرب بالزبد، أي «خلط التمر باللبن».

ومن الأمثلة التي كانت تدلّل على ضعف أصحاب الدعوة أمام ثقافة القرشيّين، حين وصف ابن هشام النضر بن الحارث، ابن خالة الرسول بـ «شيطان قريش» عندما جلس الرسول يُحدّث الناس عن سادوم وعامورة وكيف أهلكها الله، فكان النضر يجلس ويُحدّث الناس عن جيوش الفرس وصناعة الحرير والذهب لديهم بالكيمياء، وتاريخ الملوك.

لم يكن الرسول بدعوته سوى ناثراً محترفاً لقصص تقليديّة أتت بها الديانات السابقة، لكنّ ذلك كان أضعف من أن يستطيع نشر دعوته في وجود علماء الصحراء الذين سمعوا وعرفوا أخبار الدول وأحوالها ودرسوا علومها، فكان لا بُدّ له من قتلهم ومحاربتهم.

إنّ الإسـلام في تاريخه لم ينتصر بالعلم والثقافة، بل انتصر بقتل العلماء وحدّ السيف والحروب، انتصر عندما تخلّص من مثقّفي ومفكّري شبه الجزيرة.

ومازالت الحياة تؤكّد يوماً بعد يـوم، أنّ الإسلام كان ومازال لا يتمدّد سوى بالجهل وصناعة الموت، وعدم قبول أيّ رأي آخر يخالفه، وضمن ذلك يُصبح من المُدهش بعد خمسة عشر قرناً، أن يخرج أناس يدّعون العلم والتمدّن والثقافة، يدافعون عن الإسلام بأنّ من يمارسون العنف الحاليّ لا يمتّون للإسلام بصلة. إنّ العنف والجهل ببساطة جوهر النظريّة الإسلاميّة وصميمها.

الإسلام لم يقم بثورة اقتصاديّة للفقراء على الثراء القرشيّ، بل ما قام به هو إبادة شنيعة لمشروع علميّ وثقافيّ داخل صحراء كانت نموذجاً حيًّا للتنوّع والمعرفة، ووصمها بعقليّة واحدة وتحت شعار، من ليس معي فهو ضدّي ويستحقّ الموت.

صلاح الدين حسن

مهدي عامل .... قلم فضح الطائفية فاغتالته

بروفايل

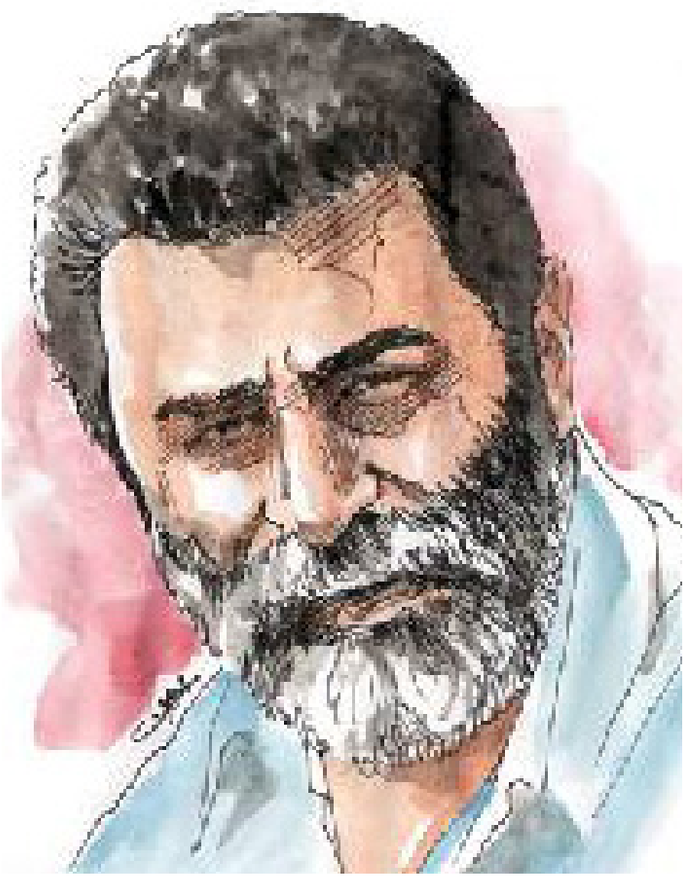

حسن عبد الله حمدان، المعروف باسم «مهدي عامل». مفكر ومناضل يساري، ولد في بيروت عام ١٩٣٦، أنهى مرحلة الدراسة الثانوية من مدرسة المقاصد في بيروت عام ١٩٥٥، ثم سافر إلى فرنسا ليتم دراسته، فحصل على الليسانس والدكتوراه في الفلسفة من جامعة ليون. وفـي عـام ١٩٦٠ انضم عامل إلى الحزب الشيوعي اللبناني، ثم انتقل عام ١٩٦٣ إلى الجزائر ليعمل بالتدريس لمدة أربعة أعوام، كتب خلالها عدة مقالات بالفرنسية، نُشرت في مجلة «الثورة الأفريقية» الصادرة في الجزائر، وفي عام ١٩٧٦ انتقل إلى الجامعة اللبنانية ليعمل مدرسا للفلسفة والسياسة والمنهجيات.

بداية حسن حمدان كانت في مجلة «الطريق» التي كتب فيها باسم مهدي عامل، ثم بدأ بنشر أولـى أعماله الفكرية عام ١٩٧٢، بكتاب: «مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الـوطـنـي»، سعى عـامـل فـي هـذا الكتاب إلى البحث في مجال جديد في الفكر الماركسي، وهـو إنتاج أدوات المعرفة، وتحديد طبيعة الإنـتـاج في مجتمعاتنا العربية.

وفي عام ١٩٧٤ أصدر كتاب: «أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية»، انتقد فيه الأبحاث المقدمة في الندوة الفكرية التي عقدت في الكويت تحت عنوان أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي. وأثناء الحرب الأهلية اللبنانية، وتحديدا في عام ١٩٧٩أصدر كتابه: «النظرية في الممارسة السياسية.. بحث في أسباب الحرب الأهلية في لبنان»، وفي ١٩٨٠ أصدر كتاب: «مدخل إلى الفكر الطائفي.. القضية الفلسطينية في أيديولوجيا البرجوازية اللبنانية»، تناول فيه المفاهيم الأساسية لأيديولوجية البرجوازية اللبنانية وقـام بنقد نظرتها إلـى القضية الفلسطينية.

وعقب الاجتياح الإسرائيلي للبنان، كتب عامل من داخل المدينة المحاصرة افتتاحية مجلة الطريق، بعنوان: «لست مهزوما ما زلت تقاوم»، وهي إحدى أشهر المقولات التي عُرف بها عامل. وفي عام ١٩٨٥ أصدر كتاب: «في عملية الفكر الخلدوني»، وفي العام نفسه أصدر كتابا بعنوان: «هل القلب للشرق والعقل للغرب.. ماركس في استشراق إدوارد سعيد»، وفي العام الذي يليه أصدر كتابه: «في الدولة الطائفية»، الذي حلل فيه طبيعة النظام السياسي الطائفي في لبنان.

لم يقتصر نضال مهدي عامل على الكتابة فقط، فكان يتنقل بين قـرى ومـدن لبنان ليحاضر ويشرح للبنانيين، بلغة مبسطة، أبرز القضايا التي تخصهم، كقضيتي الوطنية والتحرر، وكان يعرف بين الناس باسم الرفيق طارق. وإلى جانب مشروعه الفكري، كتب عامل الشعر، وأصـدر ديوانين؛ الأول عام ١٩٧٤بعنوان: «تقاسيم على الزمان»، والثاني بعنوان «فضاء النون» عام ١٩٨٤، تحت اسم هلال بن زيتون.

مسيرة فكرية ونضالية استمرت لسنوات، ظل عامل خلالها منشغلا بقضية التحرر الوطني، وفي عام ١٩٨٧، كان من المفترض أن يتم كتابه: «نقد الفكر اليومي»، إلا أن رصاصات الطائفية أردته شهيدا في إحدى شوارع بيروت، صباح الثامن عشر من أيار/ مايو ١٩٨٧، وتم اعتبار يوم ١٩ أيار/ مايو من كل عام، «يوم الانتصار لحرية الكلمة والبحث العلمي».

إنه أستاذ الفلسفة، الذي هجر ما يسمونه ببرج الفلاسفة العاجي، إلى واقع أمته المعاش وقضاياها الراهنة، حيث كان يعتقد ألا تعارض بين الثقافة والسياسة، يقول عامل: «لإن كانت في البدء الكلمة، فلقد كانت بدئيا مبدعة، وللحرية كانت ضد القمع، تناضل وتثابر في رفض الظلم»، وقد دفع مهدي عامل حياته ثمنا لأفكاره، التي عبر عنها بشجاعة في كتاباته التي نشرها خلال عقدين من الزمان.

حـاول عامل خـلال مـشـواره الفكري أن يقوم بتبسيط الأفكار اليسارية المتعلقة بالعدالة الاجتماعية وإنصاف الفقراء ضد تسلط الأغنياء ورأس المال، وإخراجها من قوالبها الجامدة، من خلال ربطها بالواقع العربي. وكان له دور كبير أثناء الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت عام ١٩٧٥، حيث قام بكتابة عدة دراسات في نقد الطائفية وتحليلها، أبرزها كتاب: «في الدولة الطائفية»، رأى فيه عامل أن الطائفية مرتبطة بشروط تاريخية محددة، وهي شروط تكوُّن الرأسمالية في شكلها الكولونيالي/ الاستعماري، وبالتالي فإن الطوائف ليست كيانات قائمة بذاتها، إنما هي قائمة بوجود الدولة في بنيتها الطائفية. فمنذ إنشاء لبنان الكبير عام ١٩٢٠، ارتبطت مصالح الطبقة الحاكمة مباشرة بمصالح الاستعمار الفرنسي، وجاء النظام السياسي لتمكين هذه المصالح التجارية والصناعية، وإحكام السيطرة على المجتمع اللبناني. فالطائفية إذن لم تكن وليدة الاستعمار، فقط، لكنها تأججت بفعل تحريض رؤساء الطوائف المتخوفين على مصالحهم الاقتصادية.

يعتبر مهدي عامل من أبرز المفكرين العرب الذين قـرأوا واقعهم جيدا، ورأى المستقبل بعيون زرقاء اليمامة. فحين نعيد الآن قراءة ما كتبه عامل في السبعينيات والثمانينيات نجد أنه ما زال صالحا لقراءة ما نعيشه الآن. وأوضح مثال على ذلك، ما كتبه عامل في نقده للندوة الفكرية التي عُقدت في الكويت، عام ١٩٧٤، حول موضوع «أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي» بمشاركة عدد كبير من المفكرين العرب، من بينهم: أدونيس وزكـي نجيب محمود ومحمود أمين العالم وغيرهم. ناقشوا في تلك الندوة أزمة التطور التي أدت إلى عدم قدرة الحضارة العربية على الوصول إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية من «تقدم». ورأوا أن الحضارة العربية كانت حضارة زاهرة، لكنها دخلت في طور «انحطاط» طويل، لم تخرج منه بعد.

تعليقا على هذه الندوة، كتب مهدي عامل كتابه المهم: «أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية»، (ص٤) رأى فيه أننا إذا اعتبرنا أن أزمة مجتمعاتنا العربية الآن هي أزمة الحضارة العربية، فإننا نبتعد عن الأزمة الفعلية، التي تتمثل في سيطرة البرجوازيات العربية (رجال الأعمال)، وسنرتكب حينها خطأ قراءة الواقع في الماضي بدلا من قراءته في ذاته. فالقضية الأساسية التي غابت عن أبحاث تلك الندوة، في رأي عامل، هي قضية التحرر الوطني من الإمبريالية.

يريد عامل أن يقول باختصار: إن الأنظمة العربية ورجـال الأعمال المسيطرين على الاقتصاد ومثقفو السلطة، يريدون دائما إخفاء حقيقة المشكلة الاقتصادية التي تسببت في إفقار ومعاناة الشعوب العربية، وكأن مشكلات المجتمع العربي الإسلامي الآن تكمن في تراث العرب والمسلمين، وليس في نهب الطبقات الحاكمة لثروات هذه المجتمعات، وهو تضليل في رأي عامل.

أهم ما يمكن ملاحظته بعد أكثر من أربعين عاما، أن أغلب النقاشات الفكرية التي تُطرح في الأوساط الثقافية العربية، ما زالت تدور في فلك نفس الأسباب التي لها علاقة بمشكلة التراث. وبالتالي فإن الأطروحات الناتجة عن هذه النقاشات لم تخرج عن حلول من نوعية: تجديد الخطاب الديني وتنقية التراث من العنف، وما إلى ذلك، دون أدنى حديث عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اندلاع ثورات الربيع العربي، وجعلت شعار أكبر بلد عربي: عيش، حرية، عدالة اجتماعية.

وبالرغم من أن مرحلة الانتفاضات العربية التي شهدتها بلادنا أخيرا، كانت فرصة ذهبية لطرح مشكلات المجتمع العربي الحقيقية، إلا أن الأنظمة أرادت إبراز صراعات وهمية على حساب المشكلة الاقتصادية الأساسية، كما شاهدنا مثلا في مصر، حين نسيت النخبة المصرية أن أكثر من ٨٠٪ من المصريين يعيشون تحت خط الفقر وانشغلت بمسألة هوية مصر؛ وهل هي إسلامية أم علمانية؟ والمستفيد الوحيد هو النظام العسكري ورجال الأعمال المتحالفين معه، كما بيَّن لنا الرفيق مهدي عامل منذ عقود!

زكريا محمود

كيف يستطيع طاغية أن يحكم الأحرار المفتخرين؟

في الإعادة إفادة

جبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١) شاعر وكاتب ورسّام، هاجر صبيّاً رفقة عائلته إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

من أشهر كتبه النبيّ* وقد كتبه بالإنجليزية وتُرجم إلى أكثر من خمسين لغة، وهو يعتبر بحقّ رائعة جبران العالميّة، مضمونه اجتماعيّ، مثالي وتأمّلي فلسفيّ، وهو يحوي خلاصة الآراء الجبرانيّة في الحبّ والزواج والأولاد والبيوت والثياب والبيع والشراء والحرّيّة والقانون والرحمة والعقاب والدين والأخلاق والحياة والموت واللذة والجمال والكرم والشرائع وغيرها، وقد وردت على لسان نبيّ سُمّي «المصطفى» ورسالة النبيّ رسالة المتصوّف المؤمن بوحدة الوجود، وبأنّ الروح تتعطّش للعودة إلى مصدرها، وبأنّ الحبّ جوهر الحياة. وفي كتاب النبيّ يعبّر جبران عن آرائه في الحياة عن طريق معالجته للعلاقات الإنسانيّة التي تربط الإنسان بالإنسان.

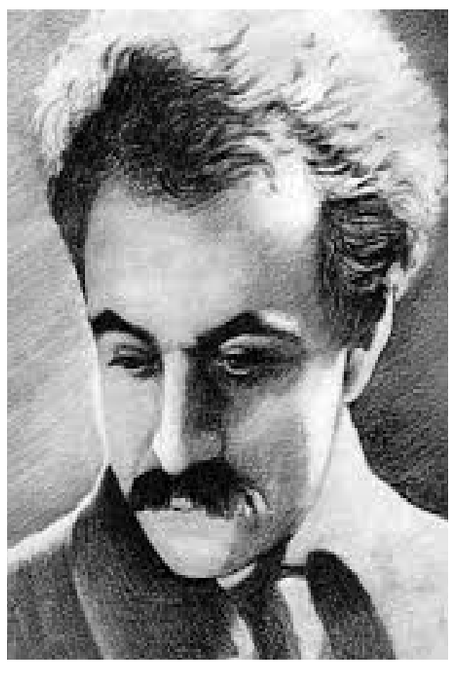

....الحرّيّة

ثمّ قال له خطيب: هات حدّثنا عن الحرّيّة!

فأجاب قائلاً: قد طالما رأيتكم ساجدين على ركبكم أمام أبواب المدينة وإلى جوانب المواقد تعبدون حرّيّتكم.

وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذلّلون أمام سيّدهم العسوف الجبار يمدحونه وينشدون له وهو يعمل السيف في رقابهم.

نعم, وفي غابة الهيكل وظلّ القلعة كثيراً ما رأيت أشدّكم حرّيّة حمل حرّيّته كنير ثقيل لعنقه و غلّ متينٍ ليديه ورجليه.

رأيت كلّ ذلك فذاب قلبي في أعماق صدري ونزفت دماؤه لأنّكم لا تستطيعون أن تصيروا أحراراً حتّى تتحوّل رغبتكم في السعي وراء الحرّيّة إلى سلاح تتسلّحون به وتنقطعوا عن التحدّث بالحرّيّة كغايتكم ومهجتكم.

إنّكم تصيرون أحرار بالحقيقة إذا لم تكن أيّامكم بلا عمل تعملونه ولياليكم بلا حاجة تفكّرون بها أو كآبة تتألّمون ذكراها.

بل تكونون أحراراً عندما تنطق هموم الحياة وأعمالها أحقّاءكم بمنطقة الجاد والعمل وتثقل كاهلكم بالمصاعب والمصائب ولكنّكم تنهضون من تحت أثقالها غزاة طليقين.

لأنّكم كيف تستطيعون أن ترتفعوا إلى ما فوق أيّامكم و لياليكم إذا لم تحطموا السلاسل التي أنتم أنفسكم في فجر إدراككم قيّدتم بها ساعة ظهيرتكم الحرّة؟

إلّا أنّ ما تسمّونه حرّيّة إنّما هو بالحقيقة أشدّ هذه السلاسل قوّة وإن كانت حلقاته تلمع في نور الشمس و تخطف أبصاركم.

وماذا يجدر بكم طرحه عنكم لكي تصيروا أحراراً سوى كُسر صغيرة رثّة في أذنكم البالية؟

فإذا كانت هذه الكُسر شريعة جائرة وجب نسخها لأنّها شريعة سطّرتها يمينكم وحفرتها على جبينكم.

بيد أنّكم لا تستطيعون أن تمحوها عن جباهكم بإحراق كتب الشريعة التي في دواوينكم كلّا ولا يتمّ لكم ذلك بغسل جباه قضاتكم ولو سكبتم عليها كلّ ما في البحار من مياه.

وإن كانت طاغية تودّون خلعه عن عرشه فانظروا أوّلا إن كان عرشه القائم في أعماقكم قد تهدّم.

لأنّه كيف يستطيع طاغية أن يحكم الأحرار المفتخرين ما لم يكن الطغيان أساساً لحرّيّتهم والعار قاعدة لكبريائهم؟

وإن كانت همًّا ترغبون في التخلّص منه فإنّ ذلك الهمّ إنّما أنتم اخترتموه ولم يضعه أحد عليكم.

وإن كانت خوفاً تريدون طرده عنكم فإنّ جرثومة هذا الخوف مغروسة في صميم قلوبكم وليست في يدي من تخافون.

الحقّ أقول لكم إنّ جميع الأشياء تتحرّك في كيانكم متعانقة على الدوام عناقاً نصفيًّا: كلّ ما تشتهون وما تخافون وما تتعشّقون وما تستكرهون وما تسعون وراءه وما تهربون منه.

جميع هذه الرغبات تتحرّك فيكم كالأنوار والظلال, فإذا اضمحلّ الظلّ ولم يبق له من أثر أمسى النور المتلألئ ظلًّا لنور آخر سواه.

وهكذا الحال في حرّيّتكم إذا حلّت قيودها أمست هي نفسها قيداً لحرّيّة أعظم منها...

المحرّر الثقافيّ

في عام ١٩٣١، كتب جبران بخصوص «النبيّ»: «شغل هذا الكتاب الصغير كلّ حياتي، كنت أريد أن أتأكّد بشكل مطلق من أنّ كلّ كلمة كانت حقًّا أفضل ما أستطيع تقديمه». لم تذهب جهوده عبثاً: بعد سبعين سنة على وفاته، ما يزال يتداوله ملايين القرّاء في أنحاء العالم.

حجر الصبر .. أبطالُ الحروب في مهبّ الريح

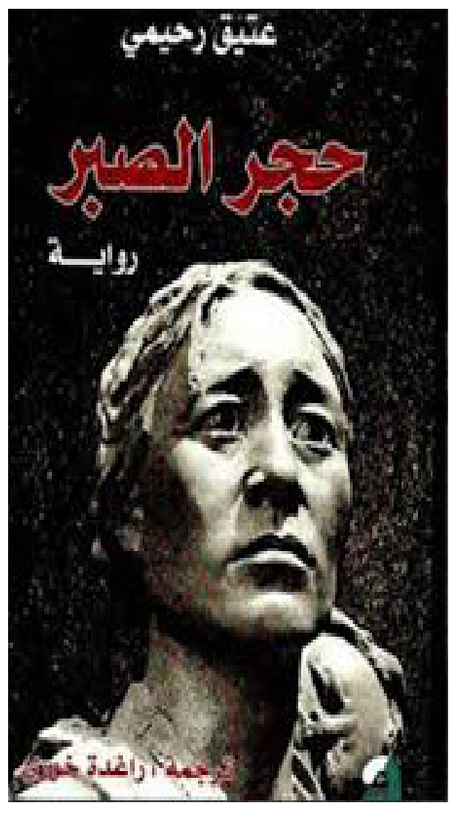

«الذين لا يعرفون كيف يمارسون الحبّ يصنعون الحرب»

هذا ما جاء على لسان الشخصيّة الرئيسيّة لدى «عتيق رحيم». شخصيّة بلا اسم ولا هويّة، إنّها عبارة عن كائن يمتلك الذكريات والرغبات، فيفضحُ السرَّ الأعظم في بلادٍ أنهكتها الحروبِ والذكورة المتديّنة. شخصية اختزلت تاريخاً طويلاً من معاناة الإنسان والمرأة في عصر الجهل والحرب.

أمام مونولوجٍ طويل هذيانيّ، يُدخلنا «رحيمي» مباشرةً إلى عالم المرأة المسلوبة بمعايير التعصّب والعشائريّة والمذهبيّة التي أودت بلادَ أفغانستان إلى حروبٍ لا تنتهي، حروب تُصبح فيها المرأة هي لسانُ حال الواقع والحلم مجتمعين.

تسردُ الشخصيّة على زوجها الذي أصابتهُ رصاصة في عنقه فأضحى أسير غيبوبةٍ طويلةٍ لا يُعرفُ مداها، كلّ ما يختلج في نفسها وهواجسها ومعاناتها، داخل مجتمع أحبطتهُ قيود التعصّب والقوانين المُشرّعة باسم الله، فأضحت بطلة رحيمي، الراوية التي شرّحت مفاهيم البؤس عندما يُصبح الإنسان أسيراً للعنف والدم والموت.

منذ البداية يُعلّقنا «رحيمي» بمجابهة واعية مع الطبيعة الفكريّة لذلك المجتمع الذي يتحكّم بمصائر الناس، عندما يبدأ الملّا خطبتهُ:

- اليوم هو يومٌ دام، لأنّه في يوم ثلاثاءِ نزفت حوّاء دماً نجساً للمرّة الأولى، وفيه قتلَ أحدُ ابنيّ آدم أخاه، وقُتِل غريغوار، وزكريا، ويحيى - عليهم السلام - وكذلك سحرة فرعون، وآسيا بنت مزاحم، زوجة فرعون، وعجل بني اسرائيل.

منذ الصفحات الأولى، يرتكز فعل القراءة مع تابوهاتٍ مؤلمة وأسطوريّة، إنّنا أمام معرفة جاهلة لمجتمع محكومٍ باللامنطقيّة.

الملّا، وصي الله على الأرض، يقول، فيصدّقه الناس.

يصدمنا رحيمي بعقليّة الجهل التي تتحكّم بالبشر، تلك العقليّة التي تقولب الذهن والرؤى بما يناسب الذكورة والشرقيّة بمعاييرها الدينيّة.

من هناك تنطلق بطلة رحيمي لتسرد باللاوعي كلّ أسرارها على زوجها الجثّة الجامدة، وكما اسمته بحجر صبرها. إنّها حانقة، تريد السبّ والشتم، لكن هناك ما يمنعها. إنّها في شكل الهذيان. غاضبة من مصيرها وواقعها وحياتها. تلوم زوجها البطل في نظر مجتمعه دون الوقوف عند كيانها، فالمرأة في مجتمع الحرب الدينيّة، هي كائن منحطّ.

تدريجيًّا ينطلق لسانها، لتبدأ مسيرةً سينمائيّة في السرد الأدبيّ، وميلودراما مسرحيّة في الحكاية المنطوقة بلسان اللاوعّي، فتُحدِّث زوجها عن شهواتها وليلة زفافها الأولى وبكارتها، وشبقها، وتتكلّم عن البطولات التي يمارسها الرجال في الحروب التي تؤدّي غايةً واحدة، وهي شعور الذكور بأنّهم أبطال، متناسين نساءهم :

- أنتم الرجال عندما تملكون السلاح تنسون نساءكم.

المرأة حاقدة، وفي مجتمع يحكمه التخلّف والدين والحرب مثل أفغانستان، لا قيمة للمرأة سوى بقوطها، إنّها قطعة لحمٍ لإفراغ شهوة الأبطال، أبطال الحروب.

في عالم رحيمي، كلّ شيء بليد، الحركة سينمائيّة رماديّة وباهتة، الشخوص تعبر بسرعةٍ وتنتهي، عمّة البطلة العاهرة العاقر، الملّا، المقاتل المُتأتئ، القياديّ الذي اتّخذ المُتأتئ صبيًّا له لنكحه.

في ذلك المكان البارد ذو البعد الواحد للسرد الحكائيّ، تمرّ الشخوص سريعةً ليُثبت لنا رحيمي واقع أفغانستان، وفي كلّ ذلك هناك ضحيّة واحدة، هي المرأة التي تعلم كلّ أسرار البلاد والعباد، لكنّها لا تستطيع قول شيء؛ لأنّ الموت مصير الذين يعرفون الحقيقة.

تصمتْ، لكنّ صمتها لا يستمرّ، غيبوبة زوجها جعلت منها امرأة متحدّثة، خلقت منها شهرزاد أفغانستان، خلف حكاياتها وأسرارها التي ركّز فيها رحيمي على هواجس المرأة الشبقيّة ومعاناتها الروحيّة في مجتمع ينتهكها على المستويين، تبان لنا بِبُعدين مكشوفين، الأوّل هو ما تعانيه المرأة بشكل مباشر من هواجس وأحلام تتمنّاها، والثاني هو ما يرتكز خلف تلك الهواجس من حقيقة البلاد والعقول، صورة الحقيقة لأفغانستان المُسلمة.

تُشرِّح بطلة رحيمي الصورة الحقيقية للذكورة المختبئة بستار الدين، فكلّما بحث الإنسان عن صورةً للشرف والطهارة والعذريّة، يكون الخوف قد تملّكه أكثر.

أبطال الحرب يريدون امرأة عذريّة، ليُثبتوا أنّهم أبطال حرب وأبطال جسد.

- عندما تضاجعون مومساً لا تمتلكون جسدها. أنتم في وضع تبادل. أنتم تعطونها مالاً، وهي تعطيكم لذة. ويمكنني أن أقول لك إنها هي التي تُسيطر عليكم في غالب الأحيان، هي التي تضاجعكم. إذاً، اغتصاب مومس ليس اغتصاباً. لكن انتهاك بكارة فتاة يعني اغتصاب شرف امرأة ! تلك هي عقيدتكم.

شهرزاد أفغانستان، لا تتوقف فقط عند السرد، بل تسخر من كل الواقع ومن الصورة التي يختبئ خلفها المُقاتلون. تسخر من الدم والشرف والقسوة، تسخر من البطولة والأبطال.

- والدك كان يحبني لأنه كان يحبك، أنت. كان فخوراً بك عندما كنت تقاتل من أجل الحرية. وكان يحدثني بذلك. بعد التحرير فقط بدأ يكرهك، أنت، ويكره أخوتك أيضاً، عندما أصبحتم لا تقاتلون إلا من أجل السلطة.

رحيمي ببطلته، يخلق عالماً من القسوة والألم، يسرد علينا حكاية وطن وحرية بلسان امرأة، يقذف في وجوهنا حقيقة الحروب التي تحوّل عقولنا ورؤانا وتجعلنا كائنات أكثر دونية وحقارةً وسفالةً بالوعي مختبئين خلف شعارات كبرى لكنها شعارات تزيد التخلف والموت : من لا يعرف كيف يمارس الحب يصنع الحرب.

شهرزاد أفغانستان، هي صورة تاريخ الحروب، هي الضوء المنسدل من ثقب الجدار إلى داخل العتمة لتفسّر كل تخلّف الأبطال الذين يُدمّرون أنفسهم قبل الآخرين.

علي الأعرج

سعد حاجو ريشة تكشف بلاهة الطاغية

ولد الفنان السوري الكردي سعد حاجو في العاصمة السورية دمشق عام ١٩٦٨، درس التصوير الزيتي في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، وتخرّج منها عام ١٩٨٩، بعد تخرجه عمل في الصحافة المكتوبة، كرسام كاريكاتور في جريدة «السفير» اللبنانية منذ العام ١٩٩٥، وكرسام في ملحق جريدة «النهار» اللبنانية من عام ١٩٩٣-١٩٩٥، ونشر في «الأهرام العربي» بين عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٥وعمل أيضاً رساماً أسبوعياً في جريدة "صدى الشام» السورية عام ٢٠١٣. في عام ٢٠٠٥ هاجر حاجو وعائلته إلى السويد، وهناك انخرط في الحياة الثقافية والصحافية السويدية، وبدأ ينشر في الصحيفة السويدية «الفولك بلاديت» (أو صوت الشعب) منذ عام ٢٠٠٩ إلى اليوم.

اعتمد الفنان سعد حاجو في رسومه الكاريكاتيرية بشكلٍ أساسي على الفكرة، لأنّ في فن الكاريكاتير وحسب وجهة نظره: «الفكرة تأتي مرئية ولا تأتي مقروءة أو مسموعة، وهذا يكسب الفكرة طابعها المتحرك ويعطيها المشاكسة»، لذا يستخدم «حاجو» المراوغة الفنية في مواجهة اليومي، ويذهب إلى اللامعقول الساخر لتكريس المعقول، لذلك فإنَّ أغلب ومعظم لوحاته تعتمد بشكل أساسي على الفكرة البسيطة، التي تصل إلى جميع المشاهدين متخطية عتبة التعليم بين الناس واختلاف اللغات بينهم.

يُعد رسام الكاريكاتير «سعد حاجو» من أهم الرسامين السوريين الذين شاركوا في تأريخ الثورة السورية عن طريق رسوماتهم الساخرة المستمدة من اللقطة البصرية الراهنة، فهو يمارس عمله الفني مستمداً مواضيعه من الداخل السوري، محاولاً معاصرة الثورة بكامل تفاصيلها الممكنة.

قد يكون الفنان حاجو من أوائل الذين رسموا عبر الكاريكاتير رئيس النظام السوري، ونوعوا في وضعيات تناوله مستخدماً خطوطه البسيطة المعبرة لنقل أفكاره، محاولاً في الوقت ذاته كسر الصورة النمطية المقدسة للطاغية عبر تناولها بشكل كاريكاتيري يدعو لتكسير التابوهات والمقدسات

المتابع لأعمال ورسومات الفنان سيلحظ ما يحمله معظمها من ألم وحزن يكنهما تجاه وطنه وشعبه، يعلّق حاجو على ذلك قائلاً في حوار معه «كنت أتمنى أن تنتهي المعاناة لأتوقف عن العمل. ولكنني أيضاً محظوظ لوجودي في عصر الثورة. أشعر بالامتنان للناس الذين خرجوا إلى الشوارع بجرأة ونبل

واجهوا آلة القتل والاستبداد ببسالة وعزم وأيضاً بخفة ظل».

يكمن الهدف النهائي لعمل حاجو في إثارة البسمة على وجوهِ القرّاء والمتابعين، والوصول بالكاريكاتور إلى دوره الأساس وهو التحريض الإيجابي والمشاركة بالفعل، وتجنّب أداء الدور السلبي من نوع تنفيس الاحتقان، أو البقاء ضمن دائرة ردّ الفعل.

بقي أن نذكر أن الفنان سعد حاجو قد أقام المعارض التالية

«كار الأفكار» عام ١٩٩٧ في بيروت،

«أحرف النصب أن لن كي لا ننسى» في بيروت ١٩٩٨،

«الصباح رباح» في بيروت ١٩٩٩...

«كلّ ما هو آت آت» في بيروت عام ٢٠٠٣

معرض جرافيكي في العاصمة الأردنية عمّان في المركز الثقافي الملكي، عام ١٩٩٢،

ندوة وعرض رسوم في معرض أبو ظبي للكتاب ٢٠١٤.

المشاركة في تنظيم معرض الكاريكاتير العربي في معرض فرانكفورت للكتاب عام ٢٠٠٤،

معرض «الضحكة النواس» وهو مشترك مع الفنان البولوني بافل كوزنسكي؟ في أيلول ٢٠١٥ في مدينة نورشوبنغ السويدية

كما أصدر كتابين في رسوم الكاريكاتير الأول «كلّ ما هو آت آت» عام ٢٠٠٣، والثاني كتاب «بلاد العنف أوطاني» عام ٢٠٠٩،

وهو عضو مؤسس في «تجمّع التشكيليين السوريين المستقلين» عام ٢٠١٢، الذين يدعمون الثورة السورية.

نال مؤخراً جائزة «إيفيكو» للكاريكاتير، وهي أرفع جائزة للكاريكاتير السياسي في السويد، وتحمل اسم رسام الكاريكاتير السياسي السويدي إيورت كارلسون، المعروف على نطاق عالمي باسم «إيفيكو» EWK، والذي يحمل متحف الكاريكاتير السياسي أيضاً اسمه.

وأهدى حاجو هذه الجائزة لروح الشهيد أكرم رسلان، رسام الكاريكاتير السوري الذي قضى تحت التعذيب في أقبية النظام.

عمران دالاتي

السيد الرئيس أهم من سوريا

في صيف عام ١٩٨٧ استضافت سوريا دورة البحرِ المتوسط للألعاب الرياضية، كان صيفا ساخناً وله قصص تبكي وتضحك، وفي ذلك الصيف أيضا شن النظام أوسع حملة إعتقالات في صفوف حزب العمل الشيوعي.

قامت اللاذقية ولم تقعد للتحضير لتلك الدورة، في حفل الافتتاح وحده شارك ٢٥ ألف تلميذ وطالب وعسكري، وفي ذلك الصيف أيضا تم الانتهاء على عجل من تشييد المدينة الرياضية الوحيدة في سوريا والتي أنشأت خصيصا لدورة المتوسط، ورغم أن كلفتها التقديرية كانت ثلاثة مليارات ليرة سورية في ذلك الزمن إلا أنها كلفت عملياً ما يقارب ستة مليارات ليرة سورية.

استغرقت التحضيرات لحفل الافتتاح فترة طويلة امتدت إلى ما يقارب الثلاثة أشهر، وصُرفت عليه أموال طائلة، وتم التعاقد يومها مع خبير روسي مختص في تصميم الافتتاحيات الكبرى.

لم تكن سوريا يومها قد دخلت مرحلة البث الفضائي، لذلك تم التعاقد مع قمر صناعيٍ لبث حفل الإفتتاح، وحددت مدة الحجز بناءاً على دراسة أعدّها مصمم الحفل مع القيادة السورية، وتم الاتفاق على أن تكون مدة الحجز أربع ساعات توزع وفق البرنامج التالي: ساعة للكلمات وساعة لاستعراض فرق الدول المشاركة وساعتان لفقرات حفل الإفتتاح.

افترض مخرج الحفل الروسي أنه من البديهي أن يكون كل الحاضرين موجودين في مقاعدهم وأنه من البديهي أيضاً أن يبدأ الحفل مع بدء فترة الحجز، لكن أحداً ما اقترح على القيادة الحكيمة أن لا يدخل السيد الرئيس «كان يومها حافظ الأسد» إلا بعد بدء البث الفضائي وكان الهدف من ذلك أن يرى العالم كيف يستقبل الشعب السوري قائده، خصوصاً أن أخبار حملة الاعتقالات الواسعة للمعارضين السياسيين والتي بدأت في دمشق وحلب قبل الدورة كانت قد وصلت الى الخارج.

هكذا كان، تحرك موكب السيد الرئيس من مكان إقامته عند بدأ البث الفضائي، كانت الطريق المؤدية الى مكان الاحتفال مكتظة بالعساكر والمخابرات الذين أحضروا منذ ساعات بلباس مدني مع فتيات من الشبيبة، وراحت الكاميرا المرافقة تنقل موكب السيد الرئيس وهتافات الجماهير.

في الستاد الرئيس كان الجميع يتابعون على شاشة كبيرة مراحل انتقال الوفد مترافقاً مع صوت مقدم الحفل الحماسي والهادر، ها هي سيارة السيد الرئيس تعبر حشود المواطنين... ها هي تنعطف.. ها هو باني سوريا يقترب من الاستاد الرئيسي...

المذيع يواصل النقل الحي والجماهير المحتشدة تنتشي وتصرخ، خطوة خطوة يتواصل النقل حتى دخل السيد الرئيس الاستاد وراح يحيي الجماهير المحتشدة وسط عاصفة التصفيق والهتافات.

بعد ملحمة دخول السيد الرئيس بدأت الكلمات، كانت كلمة السيد «ابن الرئيس» (باسل) متحدثاً باسم الرياضيين في سورية الأسد لا تقل حماسة عن ملحمة دخول والده، ثم تتالت الكلمات ليكون ختامها مسك بكلمة السيد الرئيس التي أشعلت مدرجات الستاد بالهتافات والتصفيق.

عند إقتراب موعد بدء حفل الإفتتاح وقف مدير الافتتاح الروسي ونبّه مترجمه إلى أنه بعد خمس دقائق يجب أن يبدأ دخول الفرق المشاركة، ونقل المترجم طلب المصمم الروسي إلى مدير الحفل السوري الذي نظر شذراً إلى الروسي ثم أفهم المترجم أن يقول للروسي أن هذا الطلب بمنتهى الغباء فالسيد الرئيس يواصل خطابه والجماهير تواصل هيجانها على المدرجات، لكن الروسي أفهم المترجم أن مدة الحجز محدودة وفي حال تأخروا فإن البث سيقطع وهذا ليس جيداً لسمعة سوريا، نقل المترجم الى الجانب السوري ما قاله الروسي فاحتقن وجه السوري وتوجه الى أحد المرافقة المكلفين بتنسيق الاتصال بين الرئيس وإدارة الحفل وهمس بإذنه بما طلبه الروسي.

اقترب المرافق المتجهم من الروسي وأشارٍ له (بأن يخرس)، لم يفهم الروسي الإشارة جيداً ونظر إليه مستفهما ومستغرباً، فما كان من المرافق إلا أن سحبه من كتفه وأجلسه عنوة على الكرسي ثم يشير له مرة أخرى (ولا حرف) قائلاً للمترجم: «فهّم هالحمار انو السيد الرئيس أهم من سوريا».

فهم الروسي الأمر، جلس على كرسيّه صامتاً، كانت كلمة السيد الرئيس تتواصل وكانت الجماهير تواصل هيجانها وزعيقها على المدرجات.

عندما أنهى السيد الرئيس كلمته وأفرغت الجماهير شهوتها في الزعيق، كان قد فات ما يقارب نصف ساعة على الزمن المخصص لفقرات الحفل.

وهكذا يا سادة يا كرام، ولمن كان يتابع الحفل خارج سوريا يمكنكم أن تعرفوا لماذا قطع بث ذلك الإحتفال فجأة .

نشكر لكم متابعتكم.

(ملاحظة: الحادثة منقولة من صديق مقرب جدا لمدير الحفل السوري).

بسّام يوسف

رشّو الأعرج الغبيّ

لألف عام قبل الميلاد، الاسم الثالث لبطل وبطلة قصّة حبّ قديمة جدًّا، الاسم الرابع كان للمطرب الوحيد الذي أنجبته قرية «شيخمسته» منذ نشأتها قبل ثلاثمائة سنة.

دام العرس الديمقراطيّ من بزوغ الشمس حتّى غروبها، وزّعت البلديّة السندويشات والشاي الساخن على كلّ المقترعين، تطوّعت فرقة «العاصفة» الغنائيّة والراقصة، بتقديم أغان وطنيّة ورقصات من التراث الحديث.

في الختام، مع حلول المساء، تمّ اغلاق صندوق الاقتراع الوحيد في القرية، دعا رئيس مجلس البلديّة كلّ أهالي القرية المائة والخمسين نفراً بالغاً مع النساء لأداء رقصة جماعيّة حماسيّة، كتعبير عن السعادة بإنتهاء العرس دون مشاكل وخروقات ديمقراطيّة.

قبل منتصف الليل، تمّ فرز الأصوات من قِبل لجنة حياديّة شكّلها رئيس البلديّة من أشخاص في قرية مجاورة. تلا الأكثر فصاحة في اللغة النتائج على مجلس البلدية:

- عدد الأوراق في الصندوق ١٢٦ ورقة، ثلاث ورقات مشطوبة كليًّا، خمس ورقات بيضاء لم يشطب أيّ اسم منها.

- الزعيم ٥٠ ورقة

نظر أعضاء مجلس البلديّة في وجوه بعضهم البعض مستغربين الرقم الحقير الذي ناله الزعيم! ابتسم رئيس البلديّة وأمر بمتابعة القراءة؛ لكنّ الرجل الفصيح خرس فجأة، ينظر للورقة بين يديه ثمّ ينظر لوجه رئيس البلديّة، كرّر الأمر عدّة مرّات، حتّى صاح به الرئيس آمراً بحزم.

قرأ الرجل الفصيح بصوت منخفض خجول:

- الحمار القبرصيّ ٥٠ ورقة

انتفض أعضاء المجلس فوق مقاعدهم، هرع رئيس البلديّة إلى كومة الأوراق أمام اللجنة، مزّقها لنتف صغيرة، أمر لجنة الفرز بالانصراف، التفت لأعضاء مجلسه قائلاً بغضب:

- غداً سنبدأ، سأستدعي ابن عمّي النحّات المشهور ليبدأ بصنع تمثال للزعيم، وأنتم كثّفوا جهودكم الاستخباراتيّة بين الأهالي لمعرفة شخص واحد على الأقلّ ممّن شطبوا الأسماء الأربعة، وأضافوا الحمار القبرصيّ.

محمّد جيجاك

انفضّ اجتماع مجلس بلديّة قرية «شيخمسته» على إجماع بإجراء اقتراع حول إنشاء نصب تذكاريّ في ساحة القرية. أصرّ رئيس البلدية أن يكون بين المرشّحين اسم شخصيّة مؤثّرة من أبناء القرية، بالإضافة لأسماء شخصيّات تاريخيّة معروفة على مستوى الوطن، وبالطبع أدراج اسم الزعيم في أوّل القائمة.

اقترح احمو أن يُحسم الأمر الآن على تكريم الزعيم بتمثال حجريّ، بلا اقتراع ولا بطّيخ، مبرِّرا اختصاره للطريق بأنّ البلد يمرّ في مرحلة صعبة من التهديدات الخارجيّة، ولا بدّ من تخليد الزعيم الذي بفضّل فلسفته في الكفاح من أجل بقاء هذه الأمّة على قيد الحياة، ثمّ يجب عدم انقطاع امدادات شحن العواطف وتأجيج الروح الوطنيّة للأهالي.

ابتسم رئيس البلديّة بخبث، وقال كاشفاً نواياه من أتباع أسلوب الديمقراطيّة الشعبيّة:

- الاقتراع الديمقراطيّ سيكشف لنا حجم المعارضين للزعيم، أطمئنك يا احمو، مهما كانت النتيجة سننصب تمثالاً للزعيم.

ابتسم احمو، عضّ شفته السّفليّة بحركة دهشة من دهاء رئيس البلديّة، وكذلك فعل بقيّة الأعضاء الخمسة.

في صباح اليوم التالي، بدأت حملة التمهيد للاقتراع، وزّعت قائمة المرشّحين على البيوت. احمو بذل جهداً كبيراً في شرح دوافع بناء صرح تذكاريّ في وسط قريتهم الجميلة، واختزل سير المرشّحين بعبارة مكثّفة «هذه الشخصيّات التي اخترناها يعود لهم فضل بقائنا على وجه الأرض، خدمونا في كلّ لحظة، وجعلوا شعبنا مرفوع الرأس بين الأمم، ويوجد في القائمة خانة فارغة يمكنكم إضافة أيّ اسم ترونه مناسباً لتخليد ذكراه».

سأله رشّو الأعرج ببلاهة :

- كيف يعني خدمونا في كلّ لحظة ؟

احمو ذو القامة القصيرة والكرش المنفوخ، رما احمو بنظرة استياء رجل مثقّف من أغبى رجل في القرية، تنهّد وأجاب بروح وطنيّة :

يعني لولا هؤلاء لما كنت الآن تنعم بالخبز والماء والحطب والأمان في بيتك.

في لحظة انتهاء احمو من توضيح فكرته كان يدور في رأس رشّو الأعرج صورة حماره الضخم، الشهير بالحمار القبرصيّ، الذي يخدمه ويخدم نصف أهالي القرية بجلب الماء والطحين والحطب. كاد أن يقول رشّو لاحمو إنّ هذه الأعمال الخدميّة يؤديها حماره، ولم يرَ يوماً أيّ من المرشّحين الأربعة قدّم خدمة ممّا ذكره!. لكنّ أصوات الرجال المتحلّقين حول احمو يطلبون شروحات إضافيّة كَبحت رغبة رشّو في قول ما يريد.

كان اسم الزعيم الأوّل في القائمة، مع صورته ذات الملامح الصارمة، أمّا بقية المرشّحين فلم تتوفّر لهم صور بسبب موتهم قبل اختراع آلة التصوير.

الاسم الثاني كان لقائد قديم يعود تاريخه

سردات فيسبوكيّة

١/ شعر بالإكراه!

من معاناتي كمواطن في جمهورية الفيسبوك الشعبيّة الزرقاء؛ أنني كلّما فتحتُ الصفحة الرئيسيّة؛ أرى ١٧ قصيدةً جديدةً أمامي، وحتى لو كنتُ أكثرَ مخلوقٍ يحبُّ الشِعر في العالم، ماذا سيكون موقفي من كلّ هذه الشحّاطات المرميّة على وجهي صبحاً ومساءً...؟!

عبد الكريم بدرخان

٢/ اجت سليمة

في يوم من الأيام كنت أتمشى على شاطئ البحر. شاهدت فتاة جميلة تفرك عينيها وتبكي.

أشفقت عليها. ذهبت إليها وسألتها: ليش الحلو عم يبكي. حرام هالعيون الحلوين يدمعو.

قالت: دخل رمل بعيوني وعم يحرقوني.

قلت: موعيب عليكي تبكي متل بنت صغيرة. اذا دخل رمل بعيونك غسلي عيونك وما في داعي للبكي. قالت: عم ابكي لانه خطيبي رش علي رمل وراح زعلان.

أشفقت عليها مرة تانية واحسست بالأسف، كنت قاسيا معها بدون سبب: طيب ليش لحتى يرشك بالرمل، مين هالحيوان اللي يرش رمل على ملاك متلك، انت لازم تنرشي بالعطر مو بالرمل. ممكن اعرف ليش رشك بالرمل، اذا ما في احراج. قالت: لاني قلتلو انت متل اخي. فركت لها اذنها وصرخت بها: يا حيوانه، معقول تقولي لخطيبك انت متل اخي، شو مافيكي عقل. ازدادت بكاءا وقالت: اي لانه هو متل اخي دايما بيجي متأخر عالمواعيد وبيحط الحق علي.

احسست بالإحراج، وقلة الذوق ولابد من انقاذ الموقف. قلت لها: وينو هالحيوان خطيبك لحتى ربيلك ياه واحسب الله ماخلقه.

قالت: واقف وراك.

المهم اجت سليمة. بعد ستة أشهر فكينا ايدنا من الجبصين، ورقبتي صارت احسن، وعيني اليمين طابت، وبطلت اعرج.

نورس محمد

٣/ حلم أمني؟

نمت ساعتين وفقت على حلم أني معتقل عند المخابرات الجوية الالمانية وهربان من الحبس ومعي لابتوب معتقل مصري وعم أدور على مكان أتخفى فيه وما ضل حدا من قرايبي ما شفته وودعته بالحلم.

أنا ما صدقت ايمتى خلصت من احلام تبع التأخر على الفحص والقلم اللي بيخلص بنص الفحص قبل تمام الاجوبة لتجيني هيك احلام.

فيما عدا ذلك يلعن روح افلام الاكشن بأجري

عساف العساف

٤/ الجندي المجهول!

ماهر الأسد كان عم بيقوم بنزهة فوجد تمثالا للجندي المجهول يقف ممسكا ببندقيته فاقترب منه وأخذ يتأمله، فقال له التمثال: لقد تعبت من الوقوف فأحضر لي حصانا أركب عليه، فتعجب ماهر مما حدث ، وعندما عاد لعند اخوه بشار وخبرو بما جرى، فلم يصدقه بشار وطلب من ماهر أن يذهبا سويا للتحقق من الأمر وعندما وصل ماهر وبشار واقتربا من التمثال قال التمثال لماهر لقد طلبت منك حصانا وليس حمارا.

عبد الرحمن كحيل

٥/ منطق أعوج

نحن كتير شاطرين بمقارنة الديكتاتوريات، يعني ليكون البحرين مثلاً بتسجن الناس بدون ما تقتلهم تحت التعذيب -علماً هالشي مو صحيح و قتلوا كتير ناس - متل ماعم يعمل الأسد بتصير حكومة احسن و بيصير المعارض تبعها حمار و غبي و انو لازم يشوف الحكومات التانية شو عم تعمل قبل ما ينتقد حكومته! شو هالمنطق الاعوج هاد! لعمالا

دلشاد عثمان

٦/شأن سياسي

ضابط برتبة (رائد) في دولة مجاورة، يعمل في جهاز مكافحة (المخدِّرات) قام بواجبه، فألقى القبض على مجموع مهرِّبة، ومروِّجة، فكان جزاءَه السُّجن؛ لأنَّ (المعلِّم) صاحب (المخدِّرات) من ذوي السُّلطة، ومن مدمنيها، ويمنحُ الحصانة لمن يدخلها بلاده، فيحميهم بموجب (القانون) الذي يصنعه في (ديوانه). أمَّا ما قدَّمه، ويقدِّمه بعضُ أقربائه لـ(إسرائيل) فهذا شأن سياسيّ ستظهره الأيام القادمة.

محمد عناد سليمان

٧/ بلا زعل يا شباب

هالفيسبوك ماخلالنا صاحب، بنتمسخر عشعراء الفيس... بيزعلوا شعراء بيكتبوا حلو وبيفكروا حالن المقصودين، بنتمسخر عكم حالة للاجئين..... بيزعلوا كتار وبيفكرونا عم نعمم، بنتمسخر عثورجيي الغفلة تبع بوستات التشظي والتحريض اللي بيكتبوها بالبارات..... بيزعلوا ناشطين حقيقيين، وهكذا..... الشغلة الوحيدة اللي ما فهمتها... ليه بيزعلوا رفقاتنا العلويين لما بنتمسخر عبعض العلمانيين!؟ أنه أنتوا شو خصكن بالعلمانية؟

كنان قوجة

٨/ من اخترع التسمية؟

من الذي أسمى الاستيطان الاسرائيلي لفلسطين «نكبة»..... وخسارة نصف ما تبقى في هزيمة ٦٧ «نكسة» هو نفسه الذي جعل شعار حزب البعث «وحدة حرية إشتراكية» ما أقصده أننا عانينا من النفاق والازدواجية في حياتنا ولا بد لنا أن نقيم قطيعة تامة مع تلك الفترة الطويلة المؤلمة بحيث نحاول أن نكون شخصية واحدة قولا وفعلا.... من الأهداف الرئيسة لما يجري هو هدم المنظومة الاخلاقية للشعوب..... ونحاربهم بأن نصقل أخلاقنا بالصدق.... باختيار كلماتنا بدقة في أحاديثنا مع أطفالنا وكبارها..... أن نكون مرآة صافية لأنفسنا ونتمسك أكثر بالدِّين الحنيف.... هذا هو دفاعنا

ريما اللحام

الدوري الإيطالي
يوفنتوس والرقص من جديد على منصة التتويج

تم حسم بطولة الدوري الإيطالي لكرة القدم مبكراً هذا الموسم إذ كان اليوفي يحلّق منفرداً في الصدارة منذ البداية وكان فارق النقاط بينه وبين أقرب منافسيه يدل على أن جوفنتوس سيحرز اللقب من جديد ويعود إلى موقعه الطبيعي في قمة الكرة الايطالية محققاً لقبه رقم ٣١ في الأوراق الرسمية والـ ٣٣ لدى جمهوره، وأثبت اليوفي للجميع أن فوزه بالألقاب طيلة الأعوام الثلاثية الماضية لم يكن على سبيل الحظ ولكن بناء على خطة واضحه ينفذها النادي بعدما كرر فوزه باللقب هذا العام وللموسم الرابع على التوالي بالرغم من الظروف التي مر بها في بداية الموسم بالرحيل المفاجئ للمدرب كونتي وتعيين اليجري بدلاً منه، وهي الخطوة التي أغضبت جماهير الفريق وأصابت الجميع بالتشاؤم قبل انطلاق الموسم.

لكن نتائج الفريق أثبتت أنه بطل من طراز رفيع إذ أنه أنهى بطولة الدوري برصيد ٩١ نقطة بعدما فاز في ٢٩ مباراة وتعادل في ٤ وخسر ٥ واستطاع تسجيل ٧٥ هدفاً ولم تستقبل شباك مرماه إلا ٢٠ هدفاً، مبتعداً عن أقرب منافسيه ووسيط البطل نادي نابولي ب ١٢ نقطة بعد أن حصّل ٧٩ نقطة، فيما حل نادي روما بالمركز الثالث وبرصيد ٧٧ نقطة، بينما حل نادي إنترناسيونالي في المركز الرابع وبرصيد ٧٥ نقطة.

ونال لاعب نابولي غونزالو هيغوين لقب هداف الدوري وبرصيد ٣٣ هدفاً، فيما حل لاعب يوفنتوس باولو ديبالا بالمركز الثاني وبرصيد ١٩ هدفاً، وبـ ١٧ هدفاً حل لاعب ميلان كارلوس بكا بالمركز الثالث.

يوفنتوس الآن أمامه تحد جديد، وهو معادلة رقمه القياسي، والذي تحقق في الثلاثينات من القرن الماضي بالفوز بلقب الدوري ٥ أعوام متتالية.

باريس سان جيرمان
يحسم الدوري الفرنسي قبل سبعة أسابيع!!!!

لن يكون أحدنا متحاملاً لو صرّح أن بطولة أي دوري أوربي تُحسم قبل خمس مراحل من نهاية الدوري لن تكون ممتعة وستعني تماماً ان بطولة هذا الدوري من طابقين، وهذا ما حصل مع الـدوري الفرنسي حين استطاع نادي باريس سان جيرمان أن ينال لقب بطولة الدوري وقبل خمس مراحل من نهاية الدوري وبفارق كبير عن أقرب منافسيه.

حصل باريس سان جيرمان على ٩٣ نقطة بعدما فـاز في ٢٩ مـبـاراة وتـعـادل في ٦ مباريات وخسر اثنتين فقط، سجل ٩٨ هدفاً وتلقت شباك مرماه ١٩ هدفاً فقط، ليكون بذلك بطل الدوري وصاحب أقوى دفاع وأعلى نسبة تسجيل، حلّ ثانياً نادي ليون وبفارق ٢٥ نقطة إذ نال ٦٨ نقطة من ٢٠ فوزاً و٨ تعادلات و١٠ خسارات، وسجل ٦٩ هدفاً ودخل مرماه ٢٩ هدفاً، وفـي المركز الثالث حلّ نادي موناكو برصيد ٦٢ نقطة، وفي المركز الرابع نادي نيس برصيد ٦٠ نقطة.

وكما حقق باريس سان جيرمان بطولة الدوري بفارق كبير عن أقرب منافسيه حقق هدافه السويدي المخضرم زلاتان إبراهيموفتش لقب هداف الدوري برصيد ٣٥ هدفاً مبتعداً بفارق ١٤ هدفاً عن أقرب منافسيه لاعب نادي ليون اليخاندرو لاكازيت الذي سجل ٢١ هدفاً وفي المرتبة الثالثة حلّ ادينسون كافاني لاعب باريس سان جيرمان وبرصيد ١٩ هدفاً.

بايرن ميونيخ
فارس الدوري الألماني للسنة الرابعة على التوالي

ودعت الجماهير الألمانية ملاعب الدوري بعد أربع وثلاثين مرحلة استطاع في نهايتها فريق بايرن ميونيخ أن يحسم اللقب لصالحه بعد حصوله على ٨٨ نقطة من ٣٤ مباراة حيث فاز في ٢٨ منها فيما تعادل بأربعة مباريات وخسر اثنتين واستطاع تسجيل ٨٠ هدفاً فيما دخل مرماه ١٧ هدفاً فقط أي بمعدل نصف هدف في المباراة الواحدة. فيما حصل نادي بوروسيا دورتموند على مركز الوصيف برصيد ٧٨ نقطة بعد فوزه في ٢٤ مباراة وتعادله في ٦ فيما خسر ٤ مباريات، استطاع تسجيل ٨٢ هدفاً ليكون أكثر الفرق تسجيلاً في الدوري الألماني بينما دخل مرماه ٣٤ هدفاً.

وفي الحقيقة كان بطولة الدوري والمنافسة عليها محصورة بين البطل والوصيف ومنذ أكثر من سبع مراحل حيث نجد أن فريق باير ليفركوزن الحاصل على المركز الثالث قد تحصّل على ٦٠ نقطة فقط ما يعني أن بينه وبين حامل اللقب فارق ٢٠نقطة، وحل في المركز الرابع نادي بوروسيا مونشنغلادباخ بعد أن حصل على ٥٥ نقطة، وفي المركز الخامس جاء نادي شالكه برصيد قدره ٥٢ نقطة.

تذيل القائمة ناديي شتوتغارت في المركز قبل الأخير برصيد ٣٦ نقطة، ونادي هانوفر في المركز الأخير برصيد ٣٣ نقطة، وقد ودع الناديان بطولة دوري أندية الدرجة الأولى في ألمانيا ليلعبا الموسم القادم ضمن أندية الدرجة الثانية.

وحصل لاعب بايرن ميونيخ روبرت ليواندوسكي على لقب هداف الدوري بعد تسجيله ٢٥ هدفاً، وحلّ ثانياً بيير إيميريك أوباميانج لاعب نادي بوروسيا دورتموند برصيد ٢٣ هدفاً، المركز الثالث كان من نصيب توماس مولر لاعب بايرن ميونيخ بعد تسجيله ١٩ هدفاً.

وبالتالي تكون الأندية التي حازت على المراكز الثلاثة الأولى قد تأهلت مباشرة لبطولة دوري أبطال أوروبا للموسم القادم

وبهذا الفوز يكون فريق بايرن ميونيخ قد حصل على لقب الدوري الألماني لكرة القدم للمرة الرابعة على التوالي.

برشلونة يحسم لقب الليغا في المباراة الأخيرة

من جديد حبس مشجعو برشلونة وريال مدريد في إسبانيا والعالم كله أنفاسهم حتى اللحظة الأخيرة من مباراتي فريقيهما في المرحلة الأخيرة من الليغا الإسبانية، حيث كان يكفي لريال مدريد أن يتعثر برشلونة ويتعادل كي يفوز هو باللقب، لكن نجم برشلونة سواريز كان له رأي آخر حين استطاع أن يسجل ثلاثة أهداف متتالية في مرمى فريق غرناطة ليمنح فريقه برشلونة بطولة الدوري الإسباني، ويمنح نفسه اللقب الأغلى، لقب هداف الدوري الاسباني، بينما لم يستطع منافسه كريستانيو رونالدو سوى من تسجيل هدفين لفريقه ريال مدريد ليحتل فريقه الوصافة والمرتبة الثانية في الدوري الإسباني، وكذلك يحتل هو مركز الوصيف في ترتيب هدافي الليغا.

حقق الفريق الكاتلوني لقب الدوري الإسباني للمرة الـ٢٤ في تاريخه، وذلك بعد أن تحصّل على ٩١ نقطة، حيث فاز في ٢٩ مباراة وتعادل في ٤ فيما خسر ٥ مباريات، وسجل ١١٢ هدفاً فيما لم يدخل مرماه إلا ٢٩هدفاً، بينما حل المنافس التقليدي ريال مدريد في مركز الوصيف برصيد ٩٠ نقطة بعدما فاز في ٢٨ مباراة وتعادل في ٦ وخسر ٤ مباريات فقط، وسجل١١٠ أهداف فيما لم يدخل مرماه إلا ٣١ هدفاً، فيما حل فريق أتلتيكو مدريد في المركز الثالث بعد تعثره في المرحلة ما قبل الأخيرة من الدوي وحصل على ٨٥ نقطة.

فيما هبطت فرق خيتافي ورايو فايكانو وليفانتي إلى دوري الدرجة الثانية الإسباني، بعدما تذيلت قائمة ترتيب الفرق، فيما نجا سبورتنج خيخون بصعوبة من دوامة الهبوط بفوزه بهدفين نظيفين على فياريال في مباراته الأخيرة.

ونال لويز سواريز لاعب برشلونة لقب هداف الدوري الإسباني برصيد ٤٠ هدفاً، متقدماً على كريستيانو رونالدو هداف ريال مدريد الذي سجل ٣٥ هدفاً، وجاء نجم برشلونة والأرجنتين ليونيل ميسي ليحل في المرتبة الثالثة من الهدافين وبـ ٢٦ هدفاً، بينما حل كريم بنزيمة لاعب الريال المرتبة الرابعة برصيد ٢٦ هدفاً.

تتويج ليستر سيتي بطلاً للدوري الإنكليزي الممتاز
يتجاوز حدود الرياضة وقد لا يتكرّر

مفاجأة من العيار الثقيل فجرها نادي ليستر سيتي بفوزه بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز للعام ٢٠١٦ بعد أن صعد إلى الدوري الممتاز قبل سنتين، وكان في الموسم الماضي يصارع لتفادي الهبوط إلى الدرجة الأدنى. مما جعل ريتشارد سكودامور رئيس رابطة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم للقول: «إن تتويج ليستر سيتي بلقب البطولة بعد أن كان يصارع للبقاء في دوري الأضواء يتجاوز حدود الرياضة وقد لا يتكرّر».

وأضاف في تصريحه لصحيفة تايمز البريطانية: «وصلنا إلى ذروة الإثارة في مرات أخرى سابقة، ولكن هذه المفاجأة أكبر من الرياضة كما أنها اجتذبت اهتماماً إنسانياً غير مسبوق».

وتوّج نادي ليستر سيتي ببطولة الدوري بعد أن حصل على ٨٣ نقطة بعد فوزه في ٢٤ مباراة وتعادله في ١١ وخسارته لـ ٣ مباريات فقط، سجّل ٦٧ هدفاً فيما استقبل مرماه ٣٥ هدفاً، ونال مركز الوصافة نادي توتنهام هوتسبير فيما جاء فريق الأرسنال في المركز الثالث وفريق مانشستر سيتي في المركز الرابع، وبالمقابل ودعت أندية نوريتش سيتي ونيوكاسل وأستون فيلا الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم بعد تذيلهم قائمة الترتيب.

وحصل اللاعب هاري كان لاعب نادي توتنهام هوتسبير على لقب هداف الدوري بعد تسجيله ٢٥ هدفاً، واحتل مركز الوصيف اللاعب جيمي فيردي لاعب ليستر سيتي بفارق هدف واحد عن الهداف، وحلّ ثانياً مكرر اللاعب سيرجيو أكورو لاعب مانشستر سيتي بالمركز الثالث وبرصيد ٢٤ هدف أيضاً.

الصفحة من إعداد سعد علاء الدي

الى روح شهيد الكاريكاتير السوري أكرم رسلان والى اصابع الشهيد الحي علي فرزات اهدي جائزة الكاريكاتير للصحافة العربية «. هذا ماقاله الفنان السوري موفق قات بمناسبة فوزه بالجائزة . تحية الى الفنان السوري موفق قات

اسرة تحرير كلنا سوريون

مركز حرمون للدراسات المعاصرة يعلن عن جائزة حسين العودات للصحافة العربية

يُعلن مركز حرمون للدراسات المعاصرة عن جائزة سنوية للصحافة باللغة العربية باسم «جائزة حسين العودات للصحافة العربية»، تقديرًا لإسهامات العودات الكبيرة في العمل الصحفي على امتداد الخارطة العربية، ولأخلاقياته النبيلة التي أرساها في الإعلام العربي بشكل عام. تهدف الجائزة إلى المساهمة في تطوير الصحافة العربية وتعزيز مسيرتها وتشجيع الصحافيين الذين يكتبون بالعربية على الإبداع، خصوصًا الشباب، من خلال تكريم المتفوقين والمتميزين منهم.

يتم الترشح عن طريق ملء استمارة التسجيل التي ستوضع على موقع مركز حرمون على الشبكة العنكبوتية قبل وقت كافٍ، وتعبئة جميع البيانات الشخصية وبيانات المشاركة، وتحميل الوثائق المطلوبة (كالسيرة الذاتية والصورة الشخصية وصورة عن جواز السفر)، وإدراج الروابط الإلكترونية للمقالات المقدمة إلى المسابقة، ويستلم المشارك رسالة بإتمام عملية التسجيل مع رقم تسجيل لمشاركته.

شروط المشاركة

١ ـ ألا يزيد عمر المشارك على ٤٠ عامًا في يوم الإعلان عن اسم الفائز في ١٨ آذار/ مارس ٢٠١٧.

٢ ـ ستكون الجائزة في سنتها الأولى مقصورة على فئة مقالات الرأي، السياسية والثقافية والاجتماعية.

٣ ـ يجب أن تكون المقالات المقدمة إلى المسابقة قد نشرت في صحيفة عربية، يومية أو أسبوعية أو دورية، ويشترط أن تكون منشورة خلال الفترة من ١ أيار/ مايو ٢٠١٦ وحتى ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦.

٤ ـ يشترط في المقالات الإلكترونية أن تكون منشورة في صحف أو مجلات إلكترونية معروفة وذات صدقية.

٥ ـ يشارك كل صحافي بثلاثة نماذج من أعماله ضمن فئة المقالات (السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية).

٦ ـ يمكن لأكثر من صحافي (بحد أقصى ثلاثة صحافيين) الترشح معًا للجائزة، على أن يقدموا ثلاثة أعمال مشتركة.

٧ ـ لا يشترط أن يكون الصحافي عضوًا في أي جمعية صحافية أو حاصلًا على بطاقة عمل صحفي لاعتماد مشاركته.

٨ ـ لا تجوز المشاركة لأي صحافي فاز بالجائزة نفسها في وقت سابق (شرط خاص بالجائزة في دورتها الثانية).

٩ ـ لا تجوز المشاركة لأعضاء هيئة التحكيم وأعضاء لجنة القبول الأولي وللعاملين في مركز حرمون للدراسات المعاصرة.

الإعلان عن الفائز

يتم الإعلان عن اسم الفائز الأول في ١٨ آذار/ مارس ٢٠١٧ ذكرى انطلاق الثورة السورية في مدينة درعا، إضافة إلى إعلان أسماء العشرة الأوائل وفقًا لترتيب علاماتهم.

٢- يتم تسليم الجائزة (شهادة التقدير ودرع الجائزة والمبلغ المالي ١٠ آلاف دولار أميركي) للفائز الأول في لقاء مخصص لهذا الغرض في ٧ نيسان/ أبريل ٢٠١٧، ذكرى رحيل حسين العودات.

تفاصيل أكثر على الرابط التالي: http://harmoon.org/archives/٢١١

هيئة التحرير

بوح

في الرقة

حين يصادر الطاغوت فراشات الحب

لا أدري بأي لحظة أو أي يوم، أيقنت أنني لم ولن أعشق من الأبجدية إلا ثلاثة أحرف، اجتمعن معاً كسوار من ذهب، كربيعٍ فتي مجنون، كماءٍ عذب قراح.... فكانت مدينتي الرقيقة الحانية حتى في اسمها الرقة...الرقّة التي ماخلقت إلا لتكون... قطعةً من الجنة... متفردة بكل شيء، بجدرانها، بقلعتها، بهوائها بمائها، بعزلتها.. متفردةً حتى بعذابها... حد الموت...!

لا تموتي يا جميلتي، حدثيني كما كنت تفعلين...برائحة الجبن المشلل، وطعم رب البندورة الحامض، اغمريني كما في كل عيد، ببهجة ثيابك الملونة كقوس قزح، ثم اعجنيني واطبخيني لأكون قطعة «كليجا» فاخرة بطعم الهال في محلاتك البسيطة، دعيني أكتبكِ كما كتبك العجيلي... وأرتديكِ كما كانت جارتنا ترتدي الزبون والهباري... وأتحسسك كما الشامة على وجنتي .. كما «الدكة» الزرقاء...

أماه.. هل تذكرين أطفالك من كل حدب وصوب، من الشام وحلب والسلمية، حمص وحماة واللاذقية؟؟ اغفري لهم البعد وعدم السؤال، واسقيهم كما كل مرة، كأس الغفران من فراتك الطاهر، حدثيهم عن سورك العظيم، وقصر بناتك الغانجات المدللات، دعينا نلتقي كعشاقٍ تحت جسريكِ أو ماتبقى منهما... أماه.. لقد كبرنا وأضعنا الطريق، ونسينا الوعود والنذور، تقطعت بنا السبل، وتاهت فينا الحكايات، أدركتنا الأيام ولم ندركها، فاستفقنا ذات يوم، وإذ أنت أرملة ...

يا بوصلتي، يا قبلتي يا صلاتي، سلامٌ عليك ألف سلام، سلامٌ على جسدك المسجى كغزال، سلامٌ على بحة صوتك كحمامةٍ مذبوحة.. سلامٌ على مساجدك وكنائسك وأطيافك وألوانك، سلامٌ عليك مدينة أزلية، بقعةٌ من اللاوجود، ثقباً أسود، حلماً بالخلافة!!! سلامٌ عليك معركةً.. منصباً... جاهاً لهم.. وقدراً لي...!

هل لي أن أحلم بقبرٍ صغير فيكِ، بطول ١٦٠ سم فقط لا غير، ضارباً في الحدود عرض الحائط!! ممتداً كجذور شجرة التين الكبيرة في منزلنا القديم؟ أصيلاً كما كنت ليمونات أبي الغاليات، منعشاً كفلة أمي؟ فسيحاً مريحاً كأرجوحة قلبي؟ هل لي بقبرٍ صغير، أنمو فيه كسنبلة؟؟ أثمر فيه كنخلة؟؟ أموت فيه ألف مرة وأحيا؟؟ هل لي بمقبرة صغيرة تضم أجسادنا المرهقة من كل مكان؟.. أم أن مطلبي هذا خارج الزمان والمكان؟

من أي مكان وزمان أنت، في أي يوم ولدتِ؟ وبأي مكان كبرت؟ يا طفولتي في حي البياطرة وأهلي من العجيلي وأصدقائي من السبع دربات وشبابي في الأماسي... من أنتِ؟؟ يا حورية بلا رجلٍ، يا طفلة سمراء بجدائل سوداء من أنت؟؟ يا خالاً وخلخالاً في قدم بدوية كيف أنت؟ يقال إنّ الحب اليوم ممنوع عنك؟ وأن المدارس حرامٌ فيكِ! من أنت؟ ياصمتاً كسر ظهري ياجبروتاً أدمى روحي..

روحي لن تنسى طعم بوظة النعيم ما حييت، ورائحة فلافل النزهة، وصحن المناسف الذي لم أتذوقه يوماً، وثريد البامية الحامض والأيادي تمتد صاعدة هابطة، كمنجلٍ يحصدكِ...لا لم أنسى كحلها تلك العروس الرقاوية المرتدية الفرحة ثوباً، والزغاريد تملأ حارتنا ثلاثة أيام، والسكاكر الحلوة مبعثرةً هنا وهناك كما الفراشات، كما الحلم، كما نحن اليوم...!

أماه.. عدتك طالت، وما اعتدت أن أراكِ منكوبة مكسورة، أما آن لك أن تخلعي السواد وتتوردي كمشاعل النيروز من كل عام؟ أم أن النيروز كفر، والمشاعل خطيئة؟ جربي ولو مرة أن ترقصي خفية كما كنت تفعلين على أنغام راعيات الغنم وهن يغسلن الصوف، وأن تضحكي كما اعتدت بوجه صانع المشبك وهو يهديك قرص العسل على شكل حلقاتٍ سمراء حلوة...أفردي شعرك ياعجوز ودعيني أحني أناملي بلون الذهب...

أو...دعيني أخمن... ألف غارةٍ حاقدة وأكثر... ألف قفص وحكم بالإعدام وأكثر..؟ ألف تهمةٍ مجون وزنا وأكثر؟ يا كبش الفداء يا وليمة دسمة، ياً قطعةً من الفردوس، يا عفيفة كخديجة، ياً طاهرة كمريم، يا أجمل نساء الأرض.. يا سارة... يا حبيبة هارون.. وأخبار العالم...!

دعيني أخبر العالم، دعيني أصدح بالبكاء وأترجل عن حبك لأتكلم عنك بحيادية.. أنت لست أخطر مكان في العالم، ولن تكوني عاصمة للخليفة ولا مزرعة للطواغيت، أنت لست مكاناً لتصفية حسابات، ولا تحصيل حاصل، ولا ساحة معركة أو مكاناً لتجريب سلاح.. أنت لست للخوارج ولا ليأجوج ومأجوج.. أنت لي وحدك لي.. بكل لغات العالم... عشيقتي...

سأخبرك سراً وأعرف أن الأسرار في الرقة مسموعة، سأخبرك سراً وأعرف أن الرقة مقبرةُ الأسرار، خاصةً فيما يتعلق بالزواج.. هل تقبلين الزواج بي..؟ وأنا للأمانة لا أملك تسعين ناقة أو حتى حايل، لست ثرياً عربياً ولا ملك بترول، لست أملك من الغنم شيئاً ولا من المنازل واحداً، لست أملك مهرك وهو ثمين، وأعرف أن كثيراً من الرجال يرغبن فيكِ، هل تقبلين الزواج بعابدٍ عاشقٍ متيم؟؟؟ لايملك من الوعود إلا أن يبقيكِ عصية عن الرجال، عصيةً عن الاغتصاب، عصية عن الموت، كما تركك منذ سنين... عذراء!

ميس ميس

خدمة تكسي تعمل على الهواتف الذكيّة

قال رئيس شركة أوبر في ألمانيا إنّه يرغب في إطلاق خدمة «أوبر إكس» التي تشغل سائقين مهنيّين حاصلين على تراخيص في العاصمة برلين، من خلال شركة سيّارة الأجرة الرائدة التي تستخدم تطبيقاً على الأنترنت، عبر تطبيقيّ أوبر إكس وأوبر بلاك على الهواتف الذكيّة.

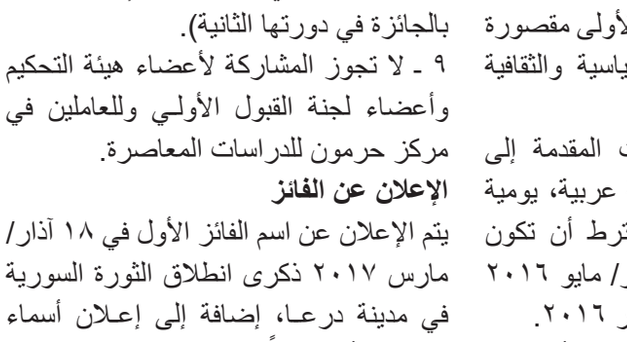

أحداث ولقاءات في الواقع الافتراضيّ

علّق مارك زوكربرغ على ما أنتجته شركة أوكولوس في مجال الواقع الافتراضيّ:

«لقد رأيته من قبل، ولكنّ هذه التجربة هي أفضل ما رأيت، إنّها تنقلنا إلى مكان آخر بمجرّد أن نضع سماعات الرأس، رأيت فيها منصّة التكنولوجيا الكبرى التالية التي ستحدد كيفيّة اتّصالنا في المستقبل».

جائزة لفلم سوريّ عن المهجّرين

فاز فيلم «بوردينغ» بالجائزة الخاصّة للجنة التحكيم التي يرأسها المخرج نور الدين الخمّاري للدورة الخامسة للمهرجان المتوسّطي للسينما والهجرة بوجدة في المملكة المغربيّة.

وقال مخرج الفلم غطفان غنّوم: آمل أن يكون هذا العمل قد استطاع نقل صورة بسيطة من صور المعاناة القاسية التي يرزح تحتها كلّ المهجّرين السوريّين في هذا العالم .

رحلة للكشف عن كنوز ثمينة، تتّخذ شكل ذكريات!

لاكتشاف عالم البحار الواسع، لعبة فيديو جديدة يمكن أن توفّر لك هذه الفرصة بالإضافة إلى الكشف عن احتماليّة إصابتك بالخرَف مستقبلاً.

لعبة الفيديو الجديدة اسمها «Sea Hero Quest» وهي الآن موجودة عبر الهواتف العاملة بأنظمة تشغيل «أندرويد» و «iOS» لمساعدة علماء الأعصاب في اختبار أعراض الخرَف.

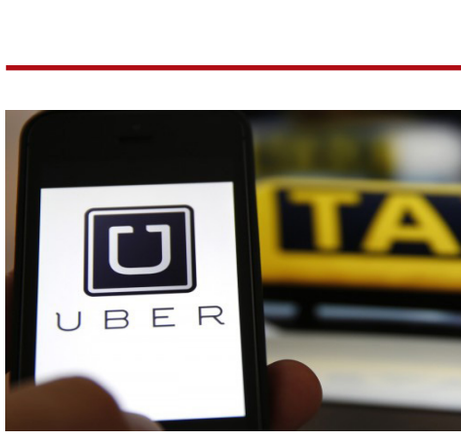

رئيس التحرير: بسام يوسف
مدير التحرير: بشّار فستق
هيئة التحرير: غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
العلاقات العامة: نور العبدالله
الاخراج الفني: رامي نونو
الموقع الإلكتروني: محمد الشبلي
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة